الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأبعاد الحجاجية في نظرية النَّظْم عند الجرجاني

مذكرة تخرّج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

إعداد الطلبة:

– الجباري باي

– مريم بن عاشور

– هدى سايح

إشراف الدكتور:

– فريد خلفاوي

لجنة المناقشة

الرقم	الأستاذ	الجامعة	الصفة
01	محمد عطاالله	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	رئيسا
02	فريد خلفاوي	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مشرفا ومقررا
03	علي بلول	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي: 1442/1441هـ– 2021/2020م.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

-سورة البقرة الآية 139-

الإهداء

إلى كل من زرع في نفوسنا روح العزيمة وبذور الأمل.

إلى الآباء الأعزاء الذين لم يبخلوا علينا بعطائهم.

إلى الوالدات الكريمات اللاتي غمرننا بحبهن وعطفهن.

إلى كل من علمنا، وأنار طريق العلم في وجوهنا.

إلى أستاذنا الفاضل الذي لم يبخل علينا بعلمه.

إلى كل هؤلاء نهدي هذا العمل المتواضع راجين من المولى

موافقة الصواب وجزيل الثواب.

الجباري باي

هدى سايح

مريم بن عاشور

مقدّمـــــــــــة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، ذي النور الساطع، والبرهان القاطع، صاحب الرسالة الجامعة والحجة المانعة وبعد:

ارتبط الحجاج بالإنسان منذ القدم، حتى صار فيه جِبلّة تغذيها النزعة الذاتية، تجاه ما يواجهه من مواقف وأحوال في حياته اليومية، ذلك لأن الإنسان لديه رغبات وميول نفعية يسعى إلى الدفاع عنها، بما يمتلكه من مؤهلات فكرية وملكات إدراكية وكفاءات منطقية، ولما كان ظهور الحجاج مرتبطا ببروز الوعي الإنساني؛ نجد أن معظم الدراسات اللغوية، قد احتوت على نظريات؛ اشتملت بدورها على مبادئ حجاجية، وهذا بداية من العهد اليوناني قديما إلى الدراسات الغربية حديثاً، فكان لكل عصر طابعه ولكل أمة بصمتها، فإذا كانت النظريات الغربية؛ قد كشفت عن ملامح ومبادئ حجاجية من خلال عملية التواصل، فإن تراثنا العربي– وربما كان له فضل السبق في ذلك– يزخر بمثل هذه المبادئ، وهذا ما نلمحه من خلال جهود الجرجاني وسابقيه؛ ومن هنا فقد وسمنا عنوان دراستنا بـ:

"**الأبعاد الحجاجية في نظرية النَّظْم**".

أما أسباب ودوافع هذا الموضوع فقد تنوعت بين الذاتية والموضوعية، حيث تمثلت الدوافع الذاتية؛ في انبهارنا بشخصية عبد القاهر الجرجاني، وقوة بصيرته بالبلاغة العربية وكذا أفكاره التي فاقت معاصريه في زمانه، وكذا اتجاهه الديني المتمثل في الدفاع عن الإعجاز، أما عن الدوافع الموضوعية؛ فتتمثل في دراسة تراثنا العربي من منظور الدراسات الحديثة، وما تحمله من أسس وقواعد علمية، وبذلك مسايرة الدراسات الغربية، كما نسعى من خلال بحثنا هذا؛ إلى الكشف عن بعض النظريات الحديثة؛ كنظرية الحجاج مثلا؛ ومدى توافرها في الدرس العربي، ومنه فإشكالية البحث تتجلى في السؤال التالي:

ما الأبعاد الحجاجية في نظرية النَّظْم ؟

حيث أسفرت هذه الإشكالية بدورها عن عدة أسئلة منها:

- فيما تتمثل الأبعاد الحجاجية من خلال نظرية النظم؟

- ما مدى توافر هذه الأبعاد؟
- ما أصناف هذه الأبعاد؟
- ما مدى إلمام نظرية النظم بآليات الحجاج؟

وحتى نجيب عن هذه الأسئلة، ونفيء بالغرض المطلوب؛ جاءت دراستنا وفق مزيج من الآليات، والتي منها؛ التاريخية التي كشفنا من خلالها عن تطور مفهوم الحجاج، وكذا التقابلية التي اعتمدناها في بعض المقارنات، أما آلية الوصف فكانت هي الغالبة على الدراسة، وهذا بحكم وصفنا لنظرية النظم، وهذا ما فرض علينا وضع الخطة التالية: حيث احتوت على مقدمة، ثم اتبعت بمدخل يلخص نظرية النظم، ويترجم لحياة صاحبها، ويلي ذلك الفصل الأول والذي تطرقنا من خلاله إلى الحديث عن الحجاج، حيث حوى ثلاثة عناصر؛ فالعنصر الأول خاص بمفهوم الحجاج، أما العنصر الثاني فكان للحديث عن أصناف الحجاج، وخصصنا العنصر الثالث، لذكر آليات الحجاج، أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا من خلال حجاجية النظم، وقد ناظر شبيهه النظري في عدد العناصر؛ حيث أُفتتح بتمهيد، عرضنا فيه علاقة نظرية النظم بمعاني النحو، وكذلك الطابع الاستدلالي للنظم، ومنه انتقلنا إلى العنصر الأول الذي يشرح التراكيب وأبعادها الحجاجية، ثم يليه العنصر الثاني الذي يوضح البيان وأبعاده الحجاجية، وخُتم الفصل بعنصر ثالث؛ تناولنا فيه العوامل والروابط الحجاجية، وأخيراً ذيلنا البحث بخاتمة.

وحتى يكون عملنا موسوما بالعلمية؛ فقد استندنا إلى بعض المصادر والمراجع أهمها:

- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.
- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني.
- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع للخطيب القزويني.
- جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي.
- اللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي.

- بلاغة الخطاب الإقناعي لحسن المودن.
- تقانة التحليل الحجاجي للخطاب للزهر كرشو.

أما عن الصعوبات التي تواجه كل باحث؛ فقد اعترضنا بعضها، وفي مقدمة هذه الصعوبات؛ قلة المصادر العربية، وذلك راجع إلى جدة الموضوع وحداثته، كما كان للوضع الصحي أيضا؛ دوره في التقليل من فرص التواصل المباشر، كما يعد التشابه والتقارب الكبير بين بعض المصطلحات من بين هذه الصعوبات، وكذا تعدد المفاهيم لمصطلح واحد؛ هو الآخر أحد هذه الصعوبات، إضافة إلى عدم التفرغ التام بحكم الجانب العملي، وكذا تحمل بعض المسؤوليات.

وأخيراً نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا ووجهنا من قريب أو بعيد؛ حتى تم استكمال هذا العمل، ووصل إلى الصورة التي هو عليها، ونخص بالشكر أستاذنا الفاضل؛ فريد خلفاوي الذي وجهنا خير توجيه وأرشدنا أفضل إرشاد من خلال متابعته للموضوع مذ كان فكرة وعنوانا، إلى أن صار موضوعا وبحثا، كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة؛ رئاسة وأعضاء لتفضلهم علينا بقبول مناقشة هذه المذكرة، فهم أهل لسد خللها وتقويم معوجها، وإبانة نقصها، فاللهم جازهم خير الجزاء وارزقهم حسن الثواب.

والله من وراء القصد.

الجباري باي

هدى سايح

مريم بن عاشور

الوادي في: 2021/06/09.

مـــدخـــل

تمهيـــد:

إن الإعجاز القرآني كان بمثابة الحافز الكبير والدافع الأكبر لظهور نظرية النظم، والتي بدورها تمثل الدراسة الشافية والكافية التي عالجت ما قبلها، وأنارت ما بعدها، وذلك لما احتوت عليه من قواعد ومعايير استند إليها كل باحث وناقد، في الكشف عن جمال اللغة وأثرها، ولإظهار حقيقة هذه النظرية وبيان قيمتها وحدودها وأثرها، كان جديرا بنا أن نعرج على تعريفها اللغوي والاصطلاحي ولو بإيجاز.

1- التعريف بنظرية النظم:

أ- **لغـــــــة:** لقد جاء في اللسان اللغوي: «نَظَمَ ــ الَّنظمُ: التأليف، نظَّمَهُ، يَنْظِمُهُ نَظْمَا ونِظَامًا ونَظَّمَهُ فانْتَظَمَ وَتَنَظَّم، ونَظَمْتُ اللؤلؤ أي جمعه في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظَمْتُ الشعر ونظّمْتهُ، ونَظَم الأمر على المثل، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته»[1].

وجاء في معجم العين: «النظم نظمك بعضه إلى بعض في نظام واحد، وهو في كل شيء، حتى قيل: ليست لأمره نظام؛ أي لا تستقيم طريقته، والنظام: كل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره، فهو نظام والجميع نُظُمُ، وفعلك النّظْمُ والتَنْظِيمُ»[2].

من خلال هذين التعريفين اللغويين؛ يمكن القول: أن النظم هو الضم والجمع، وفق طريقة مناسبة يحكمها نظام معين.

ب- **اصطلاحـــا:** ورد في معجم التعريفات للشريف الجرجاني «النظم في اللغة جمع اللؤلؤ في السلك، وفي الاصطلاح: تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني متناسبة

1- ابن منظور: لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب محمد الصادق العبدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج14، ط3، 1999م، 1419هـ ،ص196.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ط1، 2003م، 1424هـ، ص 234.

الـدلالات علـى حسـب مـا يقتضـيه العقـل، وقيـل الألفـاظ المترتبـة المسـوقة المعبـرة دلالتها على ما يقتضيه العقل»[1].

يبـدو مـن خـلال هـذا التعريـف أن الـنظم اصـطلاحا لا يختلـف كثيـرا عـن تعريفـه اللغـوي مـن حيـث الجمـع والترتيـب، ولكـن الترتيـب المـراد هـو ترتيـب الألفـاظ وفـق ترتيـب المعـاني فـي الـنفس وفـق مبـادئ العقـل، أمـا الجرجـاني فإنـه يعـرف الـنظم بقولـه: «أعلـم أن لـيس الـنظم إلا أن تضـع كلامـك الوضـع الـذي يقتضـيه علـم النحـو، وتعمـل علـى قوانينـه وأصـوله وتعـرف مناهجـه التـي نهجـت فـلا تزيـغ عنهـا وتحفـظ الرسـوم التـي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها»[2].

مـن خـلال هـذا التعريـف يتجلـى مفهـوم الـنظم ويبـدو واضـح المعـالم، فالجرجـاني مـن خـلال هـذا الكـلام ينفـي أن تكـون المزيـة للفـظ وحـده، فهـو يـزاوج بـين اللفظ وما يقتضيه من معنى، وفق شروط وأسس، وذلك ما أسفرت عنه نظريته.

2- أسس نظرية النَّظْم عند الجرجاني:

لقد نظر الجرجاني إلى كلام سابقيه في رصد خصائص الكلام شعرا أو نثرا، فرأى منهم من يرجع ذلك إلى فصاحة اللفظ ومنهم من ينسبه إلى المعنى، ومن هنا حاول الرد على الفئتين معتمدا في ذلك على مهارته في القدرة على الحجاج والمجادلة من خلال قوله: «اعلم أن ليس النظم إلا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها»[3]؛ أي أن النظم عندي هو معرفة معاني النحو إضافة إلى ترتيب الألفاظ وفق سياق تتحكم فيه المعاني وفق ما يريد المتكلم الإفصاح عنه من خلال قضايا تختلج في

1- الشريف الجرجاني: التعريفات، تح: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنا الطبعة الثانية، 2003م، ص 238.

2- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م، ص 81،

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

النفس وأفكار تجول في الذهن، فالجرجاني هنا يضع قواعدًا وأسسًا ينبني عليها تصوير محاسن الكلام، وإظهار ما فيه من جمال وتأثير؛ حيث يشترط حسب هذا التعريف:[1]

ـ أن تكون المعاني مرتبة في النفس وفق ما يقتضيه العقل.

ـ أن تكون هذه المعاني محكمة بعلاقات نحوية، أو ما يعبر عنه بالتعالق النحوي.

ـ اختيار الموقع وذلك من خلال التقديم والتأخير والحذف.

ـ مناسبة الكلام للمقاصد، وهنا يظهر الأثر الإقناعي.

3ـ ترجمة لعبد القاهر الجرجاني:

أ- **اسمه ونسبه:** «هو شيخ العربية الإمام النحوي والأديب والفقيه الشافعي والمتكلم الأشعري، المشهور بأبي بكر عبد القاهر الجرجاني بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، ولد بجرجان حوالي «400هـ» المدينة الفارسية العريقة التي تقع بين طبرستان وخراسان. واضع أسس البلاغة والمشيد لأركانها وفاتح مغاليق أبوابها وكاشف خباياها وموضع مشكلاتها، وعلى نهجه سار المؤلفون بعده، وأنهلوا من معينه، واغترفوا من بحره، واتسموا البيان الذي وضع أسسه، وقد أفاد من خبرة ممن سبقوه، وكان ذا عقلية ناضجة وحس مرهف، وذوق بليغ فأصبح عالما من أعلام الثقافة وإماما من أئمة النحو والبلاغة»[2]، إضافة إلى هذا؛ فقد أخذ عبد القاهر الجرجاني النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن الحسين الفارسي ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وصار الإمام المشهور المقصود مع جميع الجهات، مع الدين المتين والورع السكون. وقال السلفي: «كان ورعا قانعا، حيث دخل عليه لص

1- ينظر: السعيد حمزة، محاضرات في النسقية العربية، جامعة بجاية، 2018، ص 27ـ 36.

2- ينظر: عبد العاطي غريب علي، أعلام البلاغة بين الناقدين الخالدين، ع القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص 28.

وهو في الصلاة، فأخذ ما وجد، وعبد القاهر الجرجاني ينظر ولم يقطع صلاته»[1]، وذكر له شعرا، ومنه ما أورده ابن شاكر الكشيبي في فوات الوفيات:[2]

لاَ تأَمَنُ النَّفْثَةُ مِنْ شَاعِرٍ مَادَامَ حَياً سَالِمًا نَاطِقاً

فَإنَّ مَنْ يَمْدَحُكُمْ كَاذِبًا يُحْسِنُ أَنْ يَهْجُوكُمْ صَادِقاً

ب- نشأته وحياته:[3]

نشأ عبد القاهر الجرجاني في أسرة فارسية، وعلى الرغم من رقة حالها فقد نشأ ولوعا بالعلم محبا للثقافة، فأقبل على الكتب يلتهمها، وخاصة كتب النحو والأدب. وكان رحمة الله عليه يعتز بنفسه وعمله، ويمقت التزلف والملق، رضي أن يعيش فقيرا بكرامته وعزة نفسه، شأن العلماء الذين يعرفون أقدارهم ويسمون بعلمهم على الدنيا وغرضها. وكان ذا ذوق مثقف وحسن لغوي دقيق، فلمع نجمه في سماء النحو، واشتهر بأنه إمام النحاة، كما اشتهر بين كتب التراجم بإمامته في النحو والبلاغة.

ج- ثقافته ومصادرها:

أما عن ثقافته، فقد «كانت ثقافة عبد القاهر الجرجاني ثقافة عربية خالصة، وقد أعانه عقله وذكاؤه على استيعاب كل ما كان في عصره من ثقافة، ومكنته مواهبه الخاصة من الإفادة بما كتب العلماء و الأدباء الذين سبقوه، فقد أخذ النحو بجرجان عن الشيخ أبي الحسين كما سبقت الإشارة إليه سابقا وأمدته دراسته النحوية بما عمق به نظريته في النظم»[4].

1- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، الناش دار المدني بجدة، ط 1991، ص: 15.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص: 29-30.

4- أحمد مطلوب: عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات للنشر 1973، ص 16. 17.

د- وفـــاته:

ولـم يـزل عبـد القـاهر الجرجـاني بجرجـان يفيـد الـراحلين إليـه والوافـدين عليـه إلـى أن «تـوفي سـنة إحـدى وسـبعين وأربعمائـة للهجـرة وقيـل سـنة أربـع وسـبعين وأربعمائـة الموافق سنة «1078» أو شباط سنة «1082 للميلاد»»[1].

هـ- مؤلـــفاته:

ممـا خلفـه الجرجـاني مـن تـراث علمـي وإنتـاج أدبـي دليـل علـى سـعة ثقافتـه وخصب فكره وعكوفه على العلم وتحصيله، ومن هذه المصنفات ما يلي:

- **دلائـل الإعجـاز:** وقـد طبـع ونشـر أكثـر مـن مـرة، ومـن هـذه الطبعـات الشـروح تلـك التـي صـدرت فـي مصـر سـنة 1902، ثـم أعيـد طبعهـا ونشـرها سـنة 1912 مصـححة مـن الإمـام محمـد عبـده مفتـي الـديار المصـرية والمحـدث الشـيخ محمـد محمـود التركـي الشـنقيطي، ثـم مـن الشـيخ محمـد رشـيد رضـا الـذي علـق حواشـي الكتـاب وصـحح طبعتـه، كمـا قـام بتحقيقـه كـل مـن الـدكتورين الشـقيقين: **محمـد رضـوان الدايـة وفـايز الدايـة.** فـي طبعـة صـدرت فـي دمشـق سـنة 1983 وكـذلك محمـد شـاكر فـي طبعـة صـدرت فـي القـاهرة سـنة 1992 واعتنـى بـه أيضـا الـدكتور ياسـين الأيـوبي تشـكيلا وشرحا وتنسيقا في طبعة صدرت في بيروت سنة 2002.
- **أسرار البلاغة:** هو كتاب مطبوع متداول، وهو المعلم الثاني البارز في إنتاج الرجز وهو خاص بعلم البيان بخاصة[2].
- **العوامل المائة في النحو:** وهو كتاب مطبوع، أقبل عليه العلماء فشرحوه وبسـطوه وعلقـوا عليـه وهـو مشـهور متـداول ووضـعت عليـه شـروح كثيـرة وتـرجم إلـى التركية.

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شريف، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص 5.

- **الرسالة الشافية:** هو كتاب يتحدث فيه عن إعجاز القرآن، وبيان عجز العرب عن معارضته، وتفنيد رأي القائلين بالصرفة، وقد نشرت هذه الرسالة مع رسالتين أخرتين؛ واحدة للرماني والثانية للخطابي في كتاب واحد؛ بتحقيق محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله.
- **شرح الجمل في النحو:** وهو كتاب مختصر في النحو، وقد حقق مرارا ويسمى شرح الجمل في النحو للجرجاني، وهناك من ينسبه لابن خروف النحوي الاشبيلي.
- **المغني في شرح الإيضاح:** ويبلغ ثلاثين مجلدا وهو كتاب كبير لأبي علي الفارسي .
- **المقتصد:** وهو كتاب مطبوع، حققه كاظم بحر المرجان وهو ملخص "المغني في شرح الإيضاح" في ثلاثة مجلدات.
- **الإيجاز:** وهو مختصر لكتاب الإيضاح.
- **التكملة أو التقصية:** وهو عبارة عن إضافات أو زيادات لبعض مسائل النحو لكتاب "الإيضاح".

وكذلك شرح الفاتحة، والمعتضد، والتلخيص، والعمدة في التصريف،ودرج الدرر في تفسير القرآن الكريم، والتذكرة، والمختار في دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام.

الفصل الأول:

مفهوم الحجاج وأصنافه وآلياته

أولا – مفهوم الحجاج

ثانيا – أصناف الحجاج

ثالثا – آليات الحجاج

أولا: مفهوم الحجاج

1- التعريف اللغوي:

جاء في لسان العرب أن: «معاني الجذر اللغوي «ح،ج،ج» تدور على معنى التخاصم والتنازع والبرهنة والغلبة، وهي مفاهيم وعمليات مأخوذة بمعانيها الفكرية والتواصلية، جاء في لسان العرب حَاجَجْتَهُ أُحَاجَهُ حِجَاجًا ومَحَاجَهُ حتى حَجَجْتَهُ أي غلبته بالحج التي أدليت بها ..... والحجة الدليل والبرهان، وقيل الحجة ما دفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة ما يكون به الظفر عند الخصومة ومن أمثال العرب لج ـ فحج، معناه لج وتمادى به لجَاجَهُ فغلب من لاَجَهُ بِحُجَجِهِ وَرَجُلُ مِحْجَاجْ أي جدل والنجاح والتفاهم وجمع الحُجَةِ حُجَجُ وحِجَاجُ»[1].

ـ **ابن فارس:** «ومن الباب المحَجَّة وهي جادة الطريق قال: ألا بلغا عني حريثا رسالة فإنك عن قصد المحَجَة أنكب ويقال أيضا حاَجَجْتَ فلانا وحَجَجْتُهُ أي غلبته بالحجة وذلك الظفر يكون عند الخصومة والجمع الحجج، والمصدر الحجاج»[2].

ـ وجاء في القاموس المحيط الفيروزبادي « الحُجَّة بالضم، البرهان، والحجاج والجدل»[3].

من خلال هذه التعريفات اللغوية يمكن استنتاج أن الحجة هي الدليل والبرهان وبها تكون القضية ثابتة أو باطلة، وأن موضوع الحجاج هو الحوار بالمجادلة عن طريق الجدل والحجة يقابلها في المصطلح الأجنبي، «Argumentation».

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ج2، (د ط)، د ت. ص:288 .

2- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ج2، د ط، 1979، ص30.

3- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، د ط، 2000، ص331.

2- التعريف الاصطلاحي:

لقد تنوعت تعاريف الحجاج حسب البيئة والزمان؛ فكان للقدامى تعاريفهم كل حسب نظرته، وللمحدثين اصطلاحهم كل وفق مجاله، كما كان أيضا للعرب أفكار مفاهيمية خالفوا بها الغرب، وسوف نعرض لبعض هذه التعاريف.

2-1- الحجاج عند القدامى:

يرى عبد القاهر الجرجاني «729هـ» «أن المحاجة: هي ادعاء شيء مع الحجة عليه، وواضح من هذا التعريف؛ أن الجرجاني ينطلق من الحجة في بيانه الحجاج، مع أن الحجة هي الركن الأساس في العمل الحجاجي وليست الحجاج، فضلا عن إهماله لدور المتلقي بوصفه الطرف الآخر للعملية الحجاجية التي تقوم على الادعاء والاعتراض»[1].

أما عند ابن الأثير: فقد أطلق على الحجاج المذهب الكلامي، وعرفه بأنه: «احتجاج المتكلم على خصصه بحجة تقطع عناده وتوجب له الاعتراف بما ادعاه المتكلم وإبطال ما أورده الخصم، وسمي بالمذهب الكلامي؛ لأنه يسلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم على الباطل حجج خصومهم»[2].

أما أبو الوليد الباجي: فيرى أن «هذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم»[3].

1- عبد الحسن علي حبيب شيب الناصر، الخطاب الحجاجي لأهل البيت في كتاب الاحتجاج ، دراسة تداولية ،ط1، 2018م، ص 24.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج، تح عبد المجيد تركي، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط3، 2001، ص: 8.

من خلال ما سبق؛ يظهر لفظ الحجة عاملا مشتركا بين جميع التعريفات، فمن خلال الحجة يكون بناء الاستدلال الحجاجي، لأن الحجاج هو تقديم الحجة المقنعة لإسكات الخصم.

2-2- الحجاج عند المحدثين:

2-2-1-عند العرب:

عرف أبو بكر العزاوي الحجاج بأنه: « تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في ن إنجاز متواليات من النتائج التي تستنتج منها»[1].

أما طه عبد الرحمان فيقول: «أنه كل منطوق به موجه إلى الغير، لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها».[2]

يقول عبد الله صولة: « يرى بعضهم أن الحجاج في الدراسات الحجاجية على ضربين أحدهما: أنت فيه لا تخرج عن مجال المنطق وبذلك يكون مرادفا للبرهان والاستدلال، وضرب هو واسع المجال لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على أذهان السامع أو القارئ»[3].

الحجاج هو كل ملفوظ يوجه قضية بغرض التأثير في المخاطب واستمالته عن طريق مجموعة من الوسائل والآليات الحجاجية على شكل أقوال متتابعة تربط بين الحجة والنتيجة.

1- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع، الأحمدية، ط 1، 2006، ص، 16.

2- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص226.

3- عبد الله صوله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007، ص8.

2-2-2-عند الغرب:

أشار شايم بيرلمان «Chaïm Perlman» و زميلته تيتكا «Tetika» إلى «أن الحجاج لديهما "تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد درجة التسليم»[1].

واضح من هذا التعريف أن قوة الحجاج عن الفكرة لدى المتكلم إنما تستمد من نوع الحجة التي يستخدمها المحاجج في الدفاع عن فكرته هذه من جهة ومن جهة أخرى في طريقة انتظام هذه الحجة في الخطاب الحجاجي لدى المتكلم.

3- المجالات المفاهيمية للحجاج:

قد يشترك مفهوم الحجاج مع مفاهيم عدة ومصطلحات أخرى؛ كالجدل والبرهان والحوار والخطابة والإقناع وذلك من خلال تقارب آليات هذه المصطلحات.

3-1- الحجاج والخطابة:

قد يقارب مفهوم الحجاج مفهوم الخطابة؛ وذلك من خلال ما تحتاجه الخطابة من حجج يعتمدها الخطيب في خطابه «ومداره تجاوز التأثير النظري العقلي إلى التأثير العاطفي وإثارة المشاعر والانفعالات، وهو حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة، ومقامات مخصومة وغايته إرضاء الجمهور واستمالته بأي وسيلة كانت»[2].

1- عبد الله صوله، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م، ص، 13.

2- لزهر كرشو، محاضرات في الحجاج، جامعة الوادي، 2020، ص، 6.

3-2- الحجاج والإقناع:

يعد الإقناع غاية الحجاج حيث من خلاله يقنع المحاجج خصمه، ويعرفه حازم القرطاجي بقوله: «هو حمل النفوس على فعل أو اعتقاد أو التخلي عن فعله واعتقاده»[1]، أي يمكن القول بأنه قبول الحجج.

3-3- الحجاج والحوار:

الحوار مظهر تواصلي فمن خلال تحاور شخصين يتبادلان أطراف الحوار، من جهة أخرى فإن الحجاج هو تبادل الحجج، أي أن كليهما يبنى على التبادل.

3-4-الحجاج والجدل:

يقول الشريف الجرجاني معرفا الجدل: «هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه: إلزام وإفحام من هو قار على إدراك مقدمات البرهان»[2]، ويقول أيضا: «الجدل دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة»[3].

3-5-الحجاج والبرهان:

يتقاطع البرهان والحجاج في عملية الاستنباط، فهما يعتمدان المنهج نفسه للوصول إلى النتيجة، غير أن هذه النتيجة تختلف بين الحجاج والبرهان ،فخاصية البرهان غير قابلة للدحض أما خاصية الحجاج قابلة للدحض حيث إن «هذه الخاصية المتمثلة في القابلية للدحض من أهم الخصائص الجوهرية التي تميز

1- أبو الحسن حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خولة، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط2، 1981، ص، 20.

2- الشريف الجرجاني، التعريفات، ص:79.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الحجـاج عـن البرهنـة»[1]؛ أي أن نتيجـة الحجـاج لا تصـل إلـى اليقـين الـذي هـو مـن خصائص نتيجة البرهان.

ويمكن توضيح بعض الفروق بينهما:[2]

من خلال الجدول التالي:

الاستدلال البرهاني	الحجاج
1. منطقه صوري لا يقبل اللبس 2. برهنة لا شخصية وهي ملزمة 3. مجاله اليقينيات. 4. حجة واحدة يمكن أن تكون باتة قاطعة. 5. جمهوره كوني.	1. مساره حواري يستخدم أحكام القيمة 2. برهنة شخصية وهي موهبة وهي ليست ملزمة. 3. مجاله الرأي والممكن «العرف». 4. الحجج تكون فيه كثيرة. 5. جمهوره خاص لكن يقصد من خلاله جمهور كوني.

هذه بعض نقاط الاختلاف بين الحجاج والبرهان.

من خلال ما سبق؛ يمكن القول أن الحجاج يتفق مع هذه المفاهيم في مجال الخلاف الحاصل بين أطراف التواصل، لكن يختلف معها في يقينية النتائج.

1- لزهر كرشو، محاضرات في الحجاج، ص: 7.

2- عبد الله صوله، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص31.

ثانيا: أصناف الحجاج:

قد تختلف غاية الحجاج وهذا حسب غرض المرسل فقد يكون موجها أو مقوما، ومنه يمكن تصنيف الحجاج إلى صنفين: توجيهي وتقويمي.

1- الحجاج التوجيهي:

هو ما تكون فيه الغاية توجيها؛ حيث يقول طه عبد الرحمان في هذا الإطار: «هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، وعلما بأن التوجيه هنا هو فعل لإيصال الحجة إلى غيره؛ فقد ينشغل المستدل، من حيث إلقاؤه لها، ولا ينشغل بالمقدار نفسه؛ بتلقي المخاطب "بفتح الطاء" لها ورد فعله عليها، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوره وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية، يقضي به إلى تناسي الجانب العلاقي من الاستدلال»[1].

ويوضح الشهري ذلك من خلال الأفعال حيث يقول: «وهذا ما تمثله الأفعال اللغوية؛ التي توضح لنا فقط الجانب المتعلق بالمرسل، لأنه لم يراع حجج المرسل إليه إلى هذا الوقت، حيث إن التصور لديه لم يكتمل، وهنا يمكننا أن نستدل بالنظرية اللسانية أو نظرية الأفعال اللغوية، والتي "ألفت من مفهومي القصد والفعل الأصلين الذي تتفرغ عليهما باقي مفاهيمها وما يتصل بها من علل وأحكام ،بحيث تصير الحجة فيها مردودة إلى مجموعة من القصود أو مجموعة من الأفعال، منظورا إليها من جانب المستدل أي المدعي لا من جانب المستدل له، أي المعترض، فيتضح أن الحجة المبنية على التوجيه أو قل" الحجة الموجهة "بفتح الجيم المشددة»[2].

1- طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص، 227.

2- ينظر: الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط 2003، ص، 470.

1- الحجاج التقويمي:

هو الذي يكون فيه: «الخطاب المرسل حجاجا عن خطاب متوقع من مرسل إليه" متخيل" يفترض المرسل وجوده تحسبًا لأي اعتراضات قد يواجه بها خطابه بالاستناد على معرفته به وبعناصر السياق، ومن ذلك حججه المفترضة، إذ يراعي المرسل في خطابه الحجاجي أمرين هما الهدف الذي يريد تحقيقه، وهو الإقناع، والحجج التي يمكن أن يعارضه بها المرسل إليه والتي يضعها في الحسبان أثناء بناء خطابه ويمحصها عند استحضار حججه، فيفندها ويعارضها بالحجج التي يتوقعها من المرسل إليه، فلا يتمسك بها إلا إذا أدرك أنها تؤول بخطابه إلى القبول والتسليم»[1].

كما يقصد بالحجاج التقويمي أيضا: «هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أنه يجرد من نفسه ذات ثانية، وينزلها منزلة المعترض على دعواه، فهاهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره؛ هو نفسه أول متلق لما يلقى، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفها إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها»[2].

ومنه فهذا الحجاج يبني على مبدأ إزالة الشك المتوقع من المرسل إليه وتوجيهه إلى ما يريد المرسل إثباته وفق مسلمات مقبولة.

1- المرجع السابق، ص، 473.

2- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص، 228.

ثالثا: آليات الحجاج:

إن العلوم على اختلاف أنواعها ــ في الغالب ــ تعتمد على أسس ومناهج وآليات حتى تمكن الباحث من الاستفادة منها والعمل بها، والحجاج من بين هذه العلوم التي تتطلب آليات في عملها، ومن هذه الآليات حسب ما يراه بيرلمان وتتيكا أنها تنقسم إلى نوعين، حيث يقولا: إن «تقنيات الحجاج تنقسم إلى نوعين: تقنيات طرق الوصل، وتقنيات طرق الفصل، ويقصد بالأولى ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتصنع فرصة توحيدها من أجل تنظيمها وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلبا وإيجابا.....طرق الفصل: وهي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلاًّ واحدا، أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها»[1]؛ أي أن يكون المرسل على خبرة ودراسة بمواقع الفصل والوصل التي تمثل آليات الفهم والإفهام، ولا تعد هذه الآليات هي الحجج نفسها ولكنها تمثل «قوالب تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج أو تعيين المرسل على تقديم حجته في الهيكل الذي يناسب السياق»[2]، ومن خلال هذا القول يمكن تفريع آليات الحجاج إلى:[3]

1- الآليات اللغوية:

مثل ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل السببي، والتركيب الشرطي وكذلك الأفعال اللغوية، والحجاج بالتبادل والوصل وتحصيل حاصل، وهي ألفاظ لغوية لا دخل للبلاغة فيها وهي كالآتي:

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 477.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1-1- ألفاظ التعليل:

من الأدوات اللغوية ألفاظ التعليل «التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي وبناء حججه فيه، ومنها: المفعول لأجله، وكلمة السبب، ولأن إذ لا يستعمل المرسل أي أداة من هذه الأدوات، إلا تبريرا أو تعليلا لفعله بناء على سؤال ملفوظ به أو مفترض»[1]، ومعنى هذا؛ ماء في شرح الدكتور لزهر كرشو، إذ يرى «أن اللغة العربية مثلا: لها ألفاظ خاصة بالأسباب والتعليلات ومن أهم هذه الألفاظ: المفعول لأجله ولام التعليل المتصلة بالفعل المضارع المنصوب، ولام التعليل الجارة المتصلة بالمصادر من الأسماء والفاء السببية ولفظ «لأن» ولفظ «كي» ولفظ «لكي» ولفظ السبب ولفظ من أجل ولأجل، إن هذه الألفاظ في مجملها تدل على الحجج التي تتطلب إذعانا»[2].

1-2- التراكيب الشرطية:

وهو كلام يتكون من جملتين أي أنها «مؤلف قولي متكون من قول حجة يسمى نحويا جملة الشرط، أو جملة فعل الشرط، ومن قول نتيجة يسمى جملة جواب الشرط والرابط بين القولين أداة تسمى أداة الشرط ويربط هذه المؤلف جملة تلازمية وجودية تقوم على حصول النتيجة الجواب بحصول السبب فعل الشرط»[3]، ومعنى هذا أن النتيجة تحصل بحصول السبب.

1-3- أفعال الكلام:

بما أن اللغة تمثل أفعال إنجازية إضافة إلى ما تؤديه من تواصل، فالفعل الكلامي هو « يشكل نواة التواصل وأساس تطور اللغة، وتجدها، لأنه يمتلك قيمة

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، مطبعة الرمال، 2020، ص59.

3- المرجع نفسه، ص 62.

انطلاقا من جمل محددة لأن مصدر نباهة اللغة؛ طريقة استخدامها وهدفها»[1]، وقد قسّم أوستن أفعال الكلام من حيث دلالتها إلى مجموعات وطبيعة لأنها كثيرة ويستحيل حصرها وهي:[2]

1-3-1- الأفعال الدالة على الحكم: «ActesVerdicgifs»: وهي الأفعال التي تبث في بعض القضايا التي تتركز في سلطة معترف بها رسميا أو سلطة أخلاقية ولا يشترط أن تكون إلزامية، فهي تدل على التقويم أو التعميم أو الملاحظة، وتشمل على سبيل المثال أفعال التبرئة والحكم والتقدير والتحليل وإصدار مرسوم.

1-3-2- أفعال الممارسة: «Actes Exercitifis»: وهي أفعال تتجلى في ممارسة الحق ولها القوة في فرض واقع جديد مثل الانتخاب.

1-3-3- أفعال الوعد: «Actes Promessifs»: وهي أفعال الكلام التي تؤسس لدى المتكلم إلزامية القيام بعمل معترف من قبل المخاطب.

1-4- الحجاج بالتبادل:

في هذا المجال نجد **أن:** « المرسل يحاول بهذه الآلية أن يصف الحال بنفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات كما يمكن أن تكون الحجج نقلا لوجهه النظريين بين المرسل والمرسل إليه»[3].

1-5- الوصف:

يختلف هذا النوع عن سابقيه «حيث نجد أن الوصف يشمل عددا من الأدوات اللغوية منها: الصفة، اسم الفاعل، اسم المفعول»[4].

1- خديجة غفيري، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، إفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، د ط،2012، ص19، نقلا عن: لزهر كرشو: تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، مطبعة الرمال، الوادي، د، ط، 2020، ص 64.

2- يسمينة عبد السلام، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستن، مجلة الأثر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة ورقلة، ع: 10، 2014، ص 111.

3- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 486.

4- المرجع نفسه، ص 489.

1-6- تحصيل الحاصل:

يقول الشهري في شرح تحصيل الحاصل: «ويمثل هذا الضرب بعض التنوعات الحجاجية والصور الخطابية، فمن التنوعات الحجاجية التي تمثل هذا الضرب الخطابي ما يسمى بالتمثيل، وهو ما يسميه الغزالي؛ المطلب الثاني في القانون الأول عند ذكر الحد»[1]، حيث تمثل هذه الأمور الثلاثة فيما يلي:[2]

. أن يطلب به شرح اللفظ.

. أن يطلب لفظ محرر جامع مانع.

. أن يطلب ماهية الشيء وحقيقته.

2- الآليات البلاغية:

وهي آليات تؤدي المعنى الإقناعي بعيدا عن الوظيفة اللغوية؛ أي أنها تعتمد على بلاغة المتكلم التي هي "ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ"، أي أنها تنسب إلى المتكلم وما يمتلكه من قدرة على التأثير والإبلاغ، وتنقسم بدورها إلى:

2-1- آليات البلاغة القديمة:

ويمكن تعريفها: «بأدوات البلاغة المعروفة والمتكونة من صور بيانية ومحسنات بديعية الموجهة للخطاب توجيها حجاجيا بانيا؛ حيث إن قسما من التوظيف الصوري أو التحسين ـ إن لم نقل أغلبه ـ ليس من قبيل الشعرية والجمالية بقدر ما هو أسلوب من أساليب الإقناع »[3]، ويضيف الدكتور لزهر موضحا صورة الحجاج « وأجلى صورة تجسد حجاجية البلاغة القديمة في شقها البياني: التمثيل والاستعارة

1- المرجع السابق، ص 490.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، ص 90.

الكنايــة، أمــا فــي التجنــيس البــديعي فــيمكن رصــد الطبــاق والمقابلــة فــي المحســنات البديعية المعنوية و الجناس والسجع في محسنات البديع اللفظية»[1].

ومــن خــلال هــذا القــول يمكــن القــول: أن كــلا مــن علمــيْ البيــان والبــديع آليــات إقناعيــه تأثيريــة حجاجيــة، ويتجســد ذلــك؛ فــي البيــان مــن خــلال التشــبيه والاســتعارة والكناية، وفي البديع من خلال المحسنات البديعية.

2-1-1- التمثيل: «التشبيه»:

أ- مفهوم التشبيه:

وهــو «عقــد مماثلــة بــين أمــرين أو أكثــر، قصــد اشــتراكها فــي صــفة أو أكثــر، بــأداة لغرض يقصده المتكلم»[2].

وهــو كــذلك «الدلالــة علــى مشــاركة أمــر لآخــر فــي معنــى، والمــراد بالتشــبيه هــا هنــا: ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد»[3].

كمــا يمثــل التشــبيه آليــة بلاغيــة فــي غايــة الأهميــة، وتتمثــل حجاجيتــه؛ فــي إقنــاع المخاطب وذلك لما يلقيه من روعة وجمال وموقع حسن في البلاغة.

ب- أركان التشبيه:

وأركان التشبيه أربعة:[4]

* **المشبه:** هو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره.

* **المشبه به:** هو الأمر الذي يلحق به المشبه.

هذان الركنان يسميان طرفي التشبيه.

1- المرجع السابق، الصفحة ننفسها.

2- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، في المعان والبيان والبديع، تح: وحيد قطب، دار التوقيفية للتراث، ط 2012، ص 260.

3- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: غريد الشيخ محمد، إيمان الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، ط 2014، ص 147.

4- أحمد الهاشمي، المرجع نفسه، ص260.

* **وجــه الشــبه:** هـو الوصـف المشـترك بـين الطـرفين، ويكـون فـي المشـبه بـه. أقـوى منه في المشبه وقد يذكر وجه الشبه في الكلام وقد يحذف.

* **أداة التشــبيه:** وهـي اللفـظ الـذي يـدل علـى التشـبيه، ويـربط المشـبه بالمشـبه بـه، وقـد تـذكر الأداة فـي التشـبيه وقـد تحـذف، نحـو: كـان عمـر فـي رعيتـه كـالميزان فـي العـدل، وكان فيهم كالوالد في الرحمة والعطف.

ج- أدوات التشبيه:

تعـرف أدوات التشـبيه: بأنهـا؛ «ألفـاظ تـدل علـى معنـى المشـابهة، كالكـاف، وكـأن، ومثـل، وشـبه، وغيرهـا، ممـا يـؤدي معنـى التشـبيه: (كالمضـاهاة والمحاكـاة والمشـابهة والمماثلـة ونحـو، وكـذا مـا يشـتق مـن لفظـي: مائـل وشـابه أو مـا يـراد فهمـا فـي المعنى)»[1].

د- أنواع التشبيه:

ينقسم التشبيه حسب أركانه إلى أنواع:

*** في تقسيم طرفي التشبيه إلى حسي، وعقلي:[2]**

إمـا حسـيان: «أي مـدركان بإحـدى الحـواس الخمسـة الظـاهرة»، نحـو: أنـت كالشـمس في الضياء، وكما تشبيه الخد بالورد.

وإمـا عقليـان: «أي مـدركان بالعقـل»، نحـو: العلـم كالحيـاة، ونحـو: الضـلال عـن الحق كالعمي، ونحو: الجهل كالموت،

وإمـا المشـبه حسـي، والمشـبه بـه عقلـي، نحـو: طبيـب السـوء كـالموت، وإمـا المشـبه عقلي، والمشبه به حسي، نحو العلم كالنور.

*** في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار الإفراد والتركيب:[3]**

1- المرجع السابق، ص، 284.

2- المرجع نفسه، ص، 262.

3- المرجع نفسه، ص، 263-264.

إما مفردان مطلقان، نحو: ضوءه كالشمس، وخده كالورد.

أو مقيدان، نحو: الساعي بغير طائل كالراقم على الماء.

أو مختلفان، نحو: ثغره كاللؤلؤ المنظوم، ونحو العين الزرقاء كالسنان، والمشبه هو المقيد.

وإما مركبان تركيبا لم يمكن إفراد أجزائهما، بحيث يكون المركب هيئة حاصلة من شيئين أو من أشياء، تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئا واحدا، وإذا انتزع الوجه من بعضهما دون بعض، اختل قصد المتكلم من التشبيه، ومن قول الشاعر:[1]

كَأن سُهَيْلًا وَالنُّجُوم وَرَاءَهُ صُفُوفَ صَلَاة قِيَام فِيهَا إمَامُهَا

إذ لو قيل: كأن سهيلا إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة، لذهبت فائدة التشبيه.

أو مركبان تركيبا: إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة المشبه به كما ترى في قول الشاعر[2]، حيث شبه النجوم اللامعة في كبد السماء، بدرر منتثر على بساط أزرق في البيت الآتي:

وَكَأَنّ أَجْرَامٌ النُّجُوم لَوَامِعَا دُرَر نَثَرْنَ عَلَى بِسَاطٍ أَزْرَق

إذ لو قيل: كأن النجوم درر، وكأن السماء بساط، كان التشبيه مقبولا، لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به.

وإما مفرد بمركب: كقول الخنساء:[3]

أَغَرَّ أَبْلَجَ تَأْتمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

وإما مركب بمفرد ، نحو الماء المالح كالسم.

*** في تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه[4]:**

1- المرجع السابق، ص 263.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص 264.

4- المرجع نفسه، ص 276.

تشبيه تمثيل: وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد حسيا كان أو غير حسي، كقوله:[1]

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ يُوَافِي تَمَامِ الشَّهْرِ ثُمَّ يَغِيبُ

فوجه الشبه سرعة الفناء، انتزعه الشاعر من لأحوال القمر المتعددة إذ يبدو هلالا، فيصير بدرا، ثم ينقص حتى يدركه المحاق، ويسمى التشبيه تمثيلا.

تشبيه غير تمثيل، وهو ما لم يكن فيه وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد، نحو: وجهه كالبدر، كقول الشاعر:[2]

لَا تَطْلُبَنَّ بِآلَة لَك رُتْبَة فَلَم الْبَلِيغ بِغَيْر حَظّ مِغْزَلِ

فوجه الشبه قلة الفائدة، وليس منتزعا من متعدد.

تشبيه مفصل، ما ذكر فيه وجه الشبه، أو ملزومة نحو: طبع فريد كالنسيم رقة، ويده كالبحر جودا، وكلامه كالدر حسنا، وألفاظه كالعسل حلاوة، وكقول ابن الرومي:[3]

شَبِيهٌ الْبَدْر حَسَنًا وَضِيَاء وَمَنَالًا وَشَبِيهٌ الْغُصْن لَيِّنًا وَقَوَامًا وَاعْتِدَالًا

تشبيه مجمل، وهو ما يذكر فيه وجه الشبه، ولا ما يستلزمه نحو: النحو في الكلام كالملح في الطعام فوجه الشبه، هو الإصلاح في الكل. ومنه قول الشاعر:[4]

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٍ نَسْجَه مِن عَنْكَبُوتِ

*** في تقسيم التشبيه باعتبار أداته:[5]**

وينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى:

التشبيه المؤكد: وهو ما حذفت منه أداته نحو: يسجع سجع القمري وكقول الشاعر:[6]

وَأَنْت نَجْمٍ فِي رَفْعِهِ وَضِيَاء تَجْتَلِيكَ الْعُيُونُ شَرْقًا وَغَرْبًا

1- المرجع السابق، ص، 279.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه، ص 275.

5- المرجع نفسه، ص 285.

6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة كقول الشاعر:[1]

إنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٍ نَسْجُه مِن عَنْكَبُوتِ

التشبيه البليغ: هو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه، نحو:[2]

فَاقْضُوا مآربكم عِجَالا إنَّمَا أعْمَارُكُمْ سَفَرٍ مِنْ الْأَسْفَارِ

*** في تقسيم التشبيه باعتبار الغرض:**[3]

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى:

الحسن المقبول: ما وفي بالأغراض السابقة.

القبيح المردود: ما لم يوف بالأغراض السابقة.

هـ- بلاغة التشبيه:

يعد التشبيه من الصور البيانية التي تسمو بالكلام إلى مراتب البلاغة، فكلما تضمن الكلام نوعا من أنواع التشبيه، كلما كان له أثر قوي في المعنى، «وتنشأ بلاغة التشبيه: من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه، إلى شيء طريف يشبهه، أو صورة بارعة تمثله»[4]، حيث؛ «كلما كان هذا الانتقال بعيدا، قليل الخطور بالبال، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروع للنفس، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها»[5]. أما منزلة التشبيه حجاجيا؛ فهو «من أهم الوسائل الحجاجية التي يستخدمها الخطيب لقصود تأثيري واقناعية، لما يحمله التمثيل من إشارة بليغة إلى المعنى الذي يريد الخطيب إيصاله بالشكل الذي اختاره»[6].

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه، ص 286.

3- المرجع نفسه، ص 292.

4- المرجع نفسه، ص 302.

5- المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

6- لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، ص 96.

2-1-2- الاستعارة:

أ- مفهوم الاستعارة:

الاستعارة في اصطلاح البيانيين هي: «استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي»[1].

وهي أيضا: «ما كانت عليه علاقة المجاز تشبيه معناه بما وضع له»[2]، ومنه يمكن القول أن الاستعارة آلية حجاجية تؤدي غرضها الحجاجي في نقل المعنى في أبهى صوره، فيكون بذلك مؤثرا يستميل المخاطب أو يزيد في استمالته.

ب- أركان الاستعارة:

للاستعارة أركان ثلاثة هي:[3]

* **مستعار منه:** وهو المشبه به.

* **مستعار له:** وهو المشبه

« ويقال لهما الطرفان»

* **مستعار:** وهو اللفظ المنقول.

كما يشترط فيها أيضا: «عدم ذكر وجه الشبه، ولا أداة الشبه، بل ولا بد أيضا من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط، مع ادعاء أن المشبه عين المشبه **به**، أو ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلي»[4]، ويعني هذا تتطلب إدخال المشبه في جنس المشبه به. وهي أنواع:

1- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ، ص 318.

2- الخطيب القزويني، الإيضاح ، ص 194.

3- أحمد الهاشمي، المرجع نفسه ، ص 319.

4- المرجع نفسه، ص 319.

ج- أنواع الاستعارة:

يقول أحمد الهاشمي: «اعلم أن الاستعارة تنقسم على مصرح بها ومكنى عنها، والمراد بالأول هو أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به، والمراد بالثاني أن يكون الطرف المذكور هو المشبه»[1]، يعني هذا الكلام أن الاستعارة تنقسم إلى نوعين:

***الاستعارة التصريحية:** «هي التي يصرح فيها بذكر المشبه به»[2].

كقول الشاعر كثير عزة:[3]

رمتني بِسَهْم رِيشَة الْكُحْل لَمْ يَضُرَّ ظَوَاهِر جِلْدِي وَهُو لِلْقَلْب جَارِح.

وهنا نجد في لفظة سهم استعارة أصلية، فقد شبه الشاعر «الطرف» وهذا من خلال جامع الإصابة بالضر والأذى، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو السهم للمشبه، وهو «الطرف» على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي؛ قرينة لفظية وهي الكحل.

***الاستعارة المكنية:** «هي ما حذف فيها المشبه به وكني عنه بشيء من لوازمه»[4]،

كقول دعبل الخزاعي:[5]

لُا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ مِنْ رَأْسِهِ فَبَكَى

نلاحظ هنا في قول الشاعر: ضحك المشيب تمثل استعارة مكنية، لأن المشيب لا يضحك إنما الذي يضحك هو الإنسان، حيث استعار الشاعر للمشيب صفة من صفات الإنسان وهو الضحك على سبيل الاستعارة المكنية.

1- المرجع السابق، ص 361.

2- راتب أحمد قبيعة، المتقن في علم البيان، ص 76.

3- المرجع نفسه، ص78.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

د- بلاغة الاستعارة:

يبين أحمد الهاشمي بلاغة الاستعارة إذ يقول: «وبلاغة الاستعارة لا تعدو عن اثنين هما: بلاغة اللفظ وبلاغة الابتكار، حيث إن بلاغتها من ناحية اللفظ أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحملك بلاغة الاستعارة على تخيل صورة جديدة تنسيك روعتها وما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور»[1].

من خلال هذا يمكن القول أن؛ بلاغة الاستعارة تكمن في اختيار اللفظ المناسب الذي يؤدي غرضا تأثيريا، ثم يضاف إلى ذلك الاختيار ابتكار يتمثل في «روعة الخيال، وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها»[2]، فهو مجال فسيح للابتكار والإبداع وميدان التسابق المجيدين من البلغاء.

2-1-3- الكناية:

أ- مفهوم الكناية:

وهي آلية بلاغية قائمة على التلميح والاستدلال عن طريق العقل، وهي في الاصطلاح البلاغي «لفظ أطلق وأريد به غير معناه الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته»[3].

حيث تمثل الكناية عدول عن المعنى الصريح بالقصد بغرض الإقناع والتأثير: حيث يكون تأثيرها في ملازمة المعنى الصريح، ويكون توخي النتيجة في المعنى المقصود.

1- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 360.

2- المرجع نفسه، ص 361.

3- المرجع نفسه، ص 364.

ب- أنواع الكناية:

وتنقسم الكناية باعتبار المطلوب إلى ثلاثة أقسام:[1]

* **كناية عن صفة:** كما تقول: هو أبو الهول تكنى بها عن شدة كتمانه لسره، وتعرف الكناية عن الصفة؛ بذكر الموصوف ملفوظا أو ملحوظا من سياق الكلام.

* **كناية عن موصوف:** كما تقول أبناء النيل تكنى عن المصريين، ومدينة النور تكنى عن باريس، وتعرف بذكر الصفة ملازمة أو مباشرة، ومنها قولهم: تستغني مصر عن مصب النيل، ولا تستغني عن منبعه، كنوا بمنبع النيل عن أرض السودان.

* **كناية عن نسبة:** «هي الكناية التي يراد بها نسبة أمر لآخر، إثباتا أو نفيا، فيكون المكنى عنه نسبة، أسندت إلى ماله اتصال به»[2]، مثل قول الشاعر:[3]

إنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضَرَبَتْ عَلَى ابْنِ الحَشْرَجِ

ج- بلاغة الكناية:

تعد «الكناية: مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقية، مصحوبة بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها، كقول البحتري في المديح»:[4]

يَغُضُّون فَضْل اللَّحْظ مِنْ حَيْثُ مَا بَدَا لَهُمْ عَنْ مَهِيب فِي الصُّدُورِ مُحَبَّب

كما جاء في الإيضاح: «أن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر»[5].

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه، ص 365.

3- المرجع نفسه، ص 366.

4- المرجع نفسه، ص 367.

5- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 233.

2-1-4-المحسنات البديعية: أما في اللسان التجنيسي فتظهر آليات أخرى كالمحسنات البديعية والتي تنقسم بدورها إلى قسمين: لفظية ومعنوية.

أ- **المحسنات اللفظية:** والتي تتمثل في الألفاظ التي يختارها المخاطب بغرض التأثير والاستمالة منها:[1]

* الجناس:«لفظي، معنوي» * التصحيف * الازدواج
* السجع * الموازنة * الترصيع
* التشريع * لزوم ما لا يلزم * التصدير أو رد العجز على الصدر
* ما لا يستحيل بالانعكاس * المواربة * ائتلاف اللفظ مع اللفظ
* التسميط * الانسجام أو السهولة * الاكتفاء * التطريز

ب- المحسنات المعنوية:

هي التي من خلالها؛ يكون الكلام بالغا في الحسن والتأثير، ومنها:[2]

* التورية * الاستخدام * الاستطراد
* الافتنان * الطباق * المقابلة
* مراعاة النظير * الارصاد * الإدماج
* المذهب الكلامي * حسن التعليل * التجريد
* المشاكلة * المزاوجة * الطي والنشر.....

وهي التي يظهر جمالها في المعاني ويكون هذا من إبداع المخاطب لغرض التأثير على المخاطب فيلزم بالبحث عن المعنى العميق من خلال المعنى الظاهر

ج- بلاغة المحسنات البديعية:

أما استعمال المحسنات البديعية؛ فيقول لزهر كرشو: « ليست المحسنات البديعية محض زخرفة للفظ أو للمعنى فحسب، بل إنها لمكّون من مكونات

1- أحمد الهاشمي، المرجع السابق، ص451-452.

2- المرجع نفسه، ص: 450.

الخطاب الحجاجي، إذا وظفت فيه، فلا يكون الخطاب إقناعيا والمحسنات الواردة فيه لمحض الزينة والزخرفة، وإنما تكون محسنات حجاجية وُظّفت لزيادة الإقناع والإذعان»[1].

2-2- آليات البلاغة الجديدة:

وهي الآليات التي أفرزتها أعمال شايم بيرلمان البلاغة الحجاجية عن طريق كتابه «مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة المؤلف مع زميلته تيتيكا عام 1958، غير أن هذه الآليات الموظفة كانت آليات شبه منطقية وآليات بلاغية»[2]؛ أي أنها مزيج بين آليات البلاغة وآليات قريبة إلى المنطق، ومنها:

2-2-1- التشكيل الحجاجي المبني على بنية الواقع:[3]

ويتفرع إلى:

* **التشكيل التتابعي أو التعاقبي:** ومنه حجة التبذير وحجة الاتجاه.

* **التشكيل التزامني أو التواجدي:** حجة الشخص وعمله.

2-2-2- التشكيل الحجاجي المؤسس لبنية الواقع:

ويتفرع إلى:

* **التشكيل الحجاجي المعتمد على التمثيل:** ومنه: التمثيل والاستعارة.

* **التشكيل الحجاجي المعتمد على الحالات الخاصة:** ويعتمد على: الشاهد والمثال والقدوة.

3- الآليات الشبه منطقية*:

وهي آليات يحكمها المنطق ولكنها قابلة للرد عليها، وهذا ما لا نجده في البرهان؛ وهي نوعان:[1]

1- لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، ص،98.

2- المرجع نفسه، ص، 100.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص، 101...105.

* الشبه منطقية: الصواب تكتب شبه المنطقية لكن المصطلح مترجم، فتكتب الشبه منطقية،

3-1-الآليات السُّلَّمية:

ويوضح لزهر كرشو هذه الآليات قائلا: «والمقصود بالآليات السلمية؛ السلم الحجاجي، وهو ما اشتهرت به التداولية المدمجة أو الحجاج اللغوي، وهو عبارة عن علاقة تراتبية لسلسلة الأقوال «ملفوظ/حجج»، المؤدية إلى النتيجة المراد الوصول إليها «ملفوظ/نتيجة»»[2]، ويصفها طه عبد الرحمان؛ بالسلم الحجاجي، ويعرفه: «هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية»[3].

ا- **السلالم المطلقة:** «ويمثلها السلم الحجاجي غير المتدرج معجميا وغير المقولب بقوالب الصيغة الصرفية التي يتميز بها السلم الصرفي وغير المتصف بالتشكيل البلاغي الذي يتميز به السلم البلاغي»[4].

ب- السلالم المقيدة: وهو "السلم الحجاجي المتدرج معجميا، أو المقولب بقوالب الصيغة الصرفية التي يتميز بها السلم الصرفي أو المتصف بالتشكيل البلاغي الذي يتميز به السلم البلاغي"

3-2- الآليات غير السلمية:

وهي حسب تصنيف شايم بيرلمان «آليات شبه منطقية تعتمد البنى المنطقية وآليات شبه منطقية تعتمد البنى الرياضية، وهي آليا لا تركز على اللغة الحجاجية أو التشكيل البلاغي»[5]، وتتفرع بدورها إلى:[6]

ا – الآليات المعتمدة على البنى المنطقية: ومنها:

* التناقض وعدم الاتفاق.

1- المرجع نفسه، ص، 108.

2- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

3- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، المرجع السابق، ص، 277.

4- لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، ص، 109.

5- المرجع نفسه، ص، 123.

6- المرجع نفسه، ص، 123 ـ 130.

* التماثل التام أو الجزئي.

ب- الآليات المعتمدة على البنى الرياضية: وتستند على:

* حجة التعدية.

* حجة تقسيم الكل إلى أجزائه.

* حجة إدماج الجزء في الكل.

الفصل الثاني:

حجاجية النظم

أولا - التراكيب وأبعادها الحجاجية.

ثانيا - البيان وأبعاده الحجاجية.

ثالثا - الروابط والعوامل الحجاجية.

تمهيد:

إن الدارس والمتفحص لنظرية النظم، لا يخفى عليه الارتباط الوثيق بينها وبين علم النحو من جهة وحضور الأسلوب الحجاجي من جهة ثانية، حيث يتجلى ارتباطها بعلم النحو من خلال تعريف الجرجاني للنظم ضمن قوله: «وأعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت لك فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها»[1]، فالجرجاني قد أشار إلى العلاقة المتينة بين النظم وعلم النحو، وجعل علم النحو أحد أسس هذه النظرية، أي أن توخي الناظم لمعاني النحو، يعد شرطا من شروط النظم، حتى يفوز بكلامه وتحصل له المزية.

أما حضور الأسلوب الحجاجي والجانب الاستدلالي فيظهر في دفاع الجرجاني عن الإعجاز القرآني، وربما تجلى ذلك من خلال كتابه:" دلائل الإعجاز" الذي يحمل بعدا حجاجيا من خلال العنوان قبل المتن، حيث توحي كلمة " دلائل" والتي هي جمع دليل، حسب ما جاء في اللسان: «والحجة: الدليل والبرهان»[2]، وهذا العنوان يشير إلى ما يحويه المتن من حجج وبراهين، وأدلة اعتمدها الجرجاني في بناء نظريته والدفاع عنها وتَبْكِيتِ* خصومه ودحض حججهم وهذا ما جعل الطابع الحجاجي يغلب على نصوص الجرجاني، ويتمثل ذلك في توظيفه لعوامل حجاجية من قبيل أدوات النفي والحصر مثل «ليس... إلا»، أما «الطابع الاستدلالي فيتلخص في الأساليب البيانية العربية مثل التشبيه والاستعارة والكناية»[3]، والتي من

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص، 81.

2- ابن منظور، لسان العرب، م2، ص، 228.

* تَبْكِيتِ: مصطلح حجاجي يعني: إسكات الخصم.

3- ينظر محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز ودراسات الوحدة العربية، بيروت، ط9، سنة 2009،ص، 88.

خلالها ينتقل العقل من المعنى السطحي إلى المعنى الحقيقي، ومن ثم فإن بلاغة النظم تحصل في ثناياها بعد استدلاليا وحجاجيا، أي صورا وأشكالا تركيبية تؤدي وظيفة إقناعية. ومن ذلك فحديثنا عن التركيب يؤدي مباشرة إلى الحديث عن «الجملة التي تعد وحدة أساسية في تركيب النصوص ولذلك فحسن النصوص من حسن نظم الجمل وما تحمله من أثر حجاجي من خلال حسن التصرف في النصوص، عن طريق المعاني التي يحكمها التقديم والتأخير والحذف»[1]، ومن خلال هذا سنعرض لبعض الظواهر التركيبة، والصور البيانية ونبحث في أبعادها الحجاجية.

1- ينظر عبد السلام عشير، اشكالات التواصل والحجاج مقاربة تداولية معرفية، ص:90-91.

أولا: التراكيب وأبعادها الحجاجية:

تنبه عبد القاهر إلى أثر التراكيب في فهم المقولات البلاغية، منها: (التقديم والتأخير، الوصل والفصل، الذكر والحذف)، فراح يشتغل على تبيان خفايا الفروق في القول، وذلك بحسب الآلية البلاغية الظاهرة فيها، وقد رأى «أن الفروق بين التراكيب والاختلاف بين الأساليب، ليس فرقا في الحركات، وما يطرأ على الكلمات من تغيرات، وإنما الفرق في معاني العبارات هذا الوضع وذلك النظم ،فليس القصد معرفة قواعد النحو وحدها، ولكن فيما تحدثه هذه القواعد، وما تستتبعه من معنى، وما يتولد عن النظم من مدلول»[1]، وفي هدا القول إشارة إلى التراكيب وما تحمله من مزية في التأثير.

1- التقديم والتأخير

التقديم والتأخير من الصور التي أشار إليها الجرجاني وأثنى على دورها في إبلاغ المعنى حيث يقول: «هو باب كثير الفوائد، جم" المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي لك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان»[2]، من خلال هذا القول تظهر أهمية التقديم والتأخير، ودورهما في بلوغ المعنى، كما أن الصورة التركيبية لهما؛ «لا تقوم على مجرد نقل موضعي وإعادة ترتيب، قصد إحداث أثر جمالي، وإنما تتعدى ذلك؛ إلى أداء وظائف دلالية وتأثيرية حجاجية داخل الكلام، ولا يتحقق ذلك، إلا إذا كان المتكلم يمتلك كفايات لغوية واسعة، تمكنه من توصيل غرضه»[3]، ومن خلال هذا؛ يظهر أن التقديم والتأخير ليس مجرد حركية في نظام ترتيب الكلام فقط، بل يتعدى إلى إحداث أثر إقناعي وبعد حجاجي، وهنا نجد الجرجاني يوضح قيمة الصورة

1- عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، السنة، 1980، ص، 85.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص، 106 .

3- ينظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، كنوز المعرفة، ط1، 2014م، 230.

التركيبية ويبين قيمتها الحجاجية حيث يقول: «وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكر، من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهم؟ ولتخيلهم ذلك، قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم وهونوا الخطب فيه»[1]، فالجرجاني هنا بنى حجته على العناية التي في ظنون الناس؛ ما غرضها؟ وما الشيء الذي جعل لها كل هذه الأهمية؟ كما بين أيضا قيمته التي لا ترجع إلى الشكل وإنما تعزى إلى أسباب، «ومن أسباب تقديم بعض المتعلقات ترتيب منازلها في النفس، أي بحسب أقدار معانيها»[2]، ومن ذلك ما جاء في التفسير فإن قال قائل: وكيف جاء في قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ الفاتحة: الآية 5

فقدم الخبر على العبادة، وأخرت مسألة المعونة عليها بعدها؟ وإنما تكون العبادة بالمعونة، فمسألة العبادة كانت أحق بالتقديم قبل المعان عليه من العمل، والعبادة بها، قيل: لما كان معلوما أن العبادة لا سبيل للعبد إلا بمعونة من الله جل ثناؤه، وكان محالا أن يكون العبد عابدا إلا وهو على العبادة معان، وأن يكون معانا عليها إلا وهو لها فاعل»[3]، ويمثل صاحب الكتاب لذلك بقوله: «قولك للرجل إذا قضى حاجتك فأحسن إليك في قضائها: قضيت حاجتي فأحسنت إليا، فقدمت ذكر قضاء حاجتك، أو قلت: أحسنت إليّ فقضيت حاجتي، فقدمت ذكر الإحسان على ذكر قضاء الحاجة، لأنه لا يكون قاضيا حاجتك إلا وهو إليك محسن، ولا محسن إليك إلا وهو لحاجتك قاض»[4]، ويتجلى هذا في انتقال صورة تركيبية إلى صورة أخرى، أي من خلال حركة الألفاظ دون تغيرها، حيث إنَّ هذه الحركية تؤدي إلى تأويل ثاني، كما أن تقديم الشيء يكون على وجهين، كما يرى الجرجاني من خلال قوله: «وأعلم أن تقديم الشيء على وجهين»[5]، أي أن هناك: «تقديم يقال أنه على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص، 108.

2- توفيق الفيل، بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني، مكتبة الآداب، القاهرة، د ط، ص 136.

3- الإمام الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، مج: 1، ط1، 1994، ص، 163.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص، 106.

كان فيه»[1]، وهذا التأخير يبقى على الحكم الإعرابي للكلمة كأن تقول: ضرب زيدا عمر أو ضرب عمر زيدا فالحكم الإعرابي نفسه ولكن لكل جملة غرضها «كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم»[2]، أي أنهم يقدمون لغاية، كما يقول في ذلك الجرجاني: أن «الكلام لا يستقيم وتحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص»[3]، أي أن ترتيب الكلام له غاية ومقصد «وهكذا، فإن مراعاة التراكيب للأغراض والمقاصد، تعني أن التركيب أشكالا وصورا، ولكل شكل أو صورة دلالة على مقصد محدد»[4]، وكلما كانت الدلالة أوضح كان القصد أبين محدد، فكان لذلك أثر بالغ في نفس السامع.

ويضيف الجرجاني قائلا: «أما التقديم لا على نية التأخير، فهو التقديم الذي يتغير فيه الحكم الإعرابي، أي يقوم على نقل اللفظ من حكم إلى آخر»[5]، وهنا يضرب الجرجاني مثلا: فيقول: «ومثاله ما تضعه بزيد والمنطلق، حيث تقول مرة، زيد المنطلق وأخرى، المنطلق زيد، فتقديم المنطلق في الجملة الثانية لم يكن على نية ترك حكمه – الإعرابي– الذي كان له قبل النقل، أي خبر المبتدأ»[6]، حيث أن الجرجاني يعد هذا الباب كثير الفوائد، إذ يقول:« وهو أنه يتصور أن يعمد عامد إلى نظم الكلام يعنيه فيزيله عن الصورة التي أرادها الناظم له، ويفسدها عليه من غير أن يحول فيه لفظا عن موضعه، أو يبدله يغيره، أو يغير شيئا من ظاهر أمره على محال»[7]، حيث يضرب مثلا ببيت لأبي تمام:[8]

لُعَابُ الْأَفَاعِي القَاتِلاَتُ لُعَابُهُ وَأَرْيُ الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيَّدِ عَوَامِلِ

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- عبد القاهر، أسرار البلاغة، ص 65.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- ينظر عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص97.

6- المرجع نفسه، ص 107.

7- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

8- شاهين عطية اللبناني، ديوان الشاعر أبي تمام الطائي، المطبعة الأدبية، بيروت، السنة: 1889، ص 229.

فإذا نظرت إلى هذا البيت أوهمك ظاهره «أن "لعاب الأفاعي" مبتدأ، و"لعابه" خبر ولكن غرض الشاعر هنا تشبيه مداد قلمه بلعاب الأفاعي وكذا أن يشبه مداده بأري الجنى، ولكن هذا لا يتأتى إلا إذا كان لعابه مبتدأ ولعاب الأفاعي خبر، أما التقدير الأول فيبطل الغرض الذي أراده الشاعر، بل يبدو أنه يريد أن يشبه لعاب الأفاعي بالمداد»[1]، حيث نجد أن هذا التقديم مرتبط بقصد المتكلم، كما يبرز هنا دور السياق أيضا، فهذا يدل على أن النظم تابع للمعاني حسب رأي الجرجاني حيث يرى: أن النظم واقع في المعاني لا في الألفاظ، وإنما تبعث الألفاظ المعاني في الترتيب، ومن خلال هذا فالتأخير والتقديم لهما الفضل في إيضاح المعنى.

1- 1- التقديم والتأخير في الاستفهام بالهمزة:

يبدو للجرجاني أن هناك فرقا من حيث المعنى والغرض الحجاجي بين تقديم همزة الاستفهام مع الفعل وبين تقديمها مع الاسم، حيث يقول: «ومن أبين شيء في ذلك؛ الاستفهام في الهمزة، فإن موضع الكلام؛ على أنك إذا قلت: أفعلت، فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه، و كان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده»[2]، ثم يضيف موضحا؛ «وإذا قلت: أأنت فعلت؟ فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل من هو، و كان التردد فيه، ومثال ذلك أنك تقول: أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها؟ أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟ أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟ تبدأ في هذا ونحوه بالفعل لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه، لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانتفائه، مجوزا أن يكون قد كان، وأن يكون لم يكن»[3]، فمن خلال هذا الاستفهام، يتضح الشك؛ هل هو في الفعل أو في الفاعل، فإذا بدأنا بالاسم يكون الشك في من قام بالفعل، أما إذا بدأنا بالفعل فالشك حينئذ في وقوع الفعل من عدمه، فإضافة إلى غرض التقرير، يضيف الجرجاني غرض آخر متمثلا في الحجاج، مثل الإنكار، وهنا يبين الجرجاني بقوله: « واعلم أن همزة

1- ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص97.

2- المرجع نفسه، ص111.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فيما ذكرناه تقرير بفعل قد كان، وإنكار له لما كان، وترسيخ لفاعله عليه، ولهما مذهب آخر وهو أن يكون الفعل قد كان من أصله، ومثاله قوله تعالى﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ سورة الإسراء، (الآية:40.)، وقوله عز وجل:﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ سورة الصافات، (الآية: 153-154).

فمن خلال هذه الآية الكريمة أن غرض الاستفهام هو تكذيب لادعاء المشركين وإنكار ما يقولون وذلك من خلال تقديم الهمزة على الفعل اصطفى، فالغرض الحجاجي يتمثل في إنكار ما يقولون وذلك من خلال تقديم الهمزة على الفعل اصطفى، فالغرض الحجاجي يتمثل في الإنكار أي أن يكون الاصطفاء غير واقع أصلا: فالإنكار هنا قد وجه إلى الفعل ومنه إذا جاء بعد الهمزة فعل كان الإنكار موجها إليه، ومنه فالإنكار بالهمزة بعد حجاجي يتمثل في الاستمالة للمتلقي وذلك من خلال «إشراك السامع في التفكير في الحقائق المعروضة، فهو لا يفرض عليه الحكم فرضا، لأن طريقة الفرض فيها ثقل على النفس، وإنما فيه تنبيه للسامع بأن يراجع نفسه ويعرف حقيقته فيرتدع»[1]، وهنا تظهر علاقة الاستفهام الإنكاري بقصد المتكلم الحجاجي، ومن بينها إشعار المتلقي بالعودة إلى نفسه وتقوية اعتقاده، ويوضع الجرجاني بقوله:« واعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا الإنكار، فإن الذي هو محض المعنى، أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع ويعيى بالجواب»[2]، فهذا القول يوضح ارتباط الاستفهام الإنكاري بالمقصد الحجاجي ويظهر من خلال سعي المتكلم إلى تنبيه السامع حتى يعود إلى نفسه، فيعرف خطأه ويرتدع، ومنه نخلص إلى أن التقديم في الاستفهام له صلة بالقصد والغرض زيادة عن وضعية المخاطب التي يظهر فيها البعد الحجاجي.

1- نجاح أحمد الظهار، نظرية النظم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني، ص140.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 119.

1-2- التقديم والتأخير في النفي:

يقول الجرجاني في النفي،« وإذا قد عرفت هذه المسائل في الاستفهام، فهذه مسائل في النفي، إذا قلت: ما فعلت، كنت نفيت عنك فعلا لم ثبت أنه مفعول، وإذا قلت ما أنا فعلت، كنت نفيت عنك فعلا يثبت أنه مفعول»[1]، ومعنى هذا القول: أن نفي القول الأول- ما فعلت- يدل على نفي وقوع الفعل أما القول الثاني- ما أنا فعلت- فيدل هذا على نفييك لفعل قد وقع من الفاعل، وفي إثبات وقوع الفعل من طرف غيرك، ومنه فعرض النفي مقرب بقصد المتكلم الذي يوجه حجاجه نحو اتجاه معين، ومن الأمثلة التي ساقها الجرجاني قوله: «ما ضربت زيدا، كنت نفيت عنك ضربه، ولم يجب أن فيكون قد ضربن بل يجوز أن يكون ضربه غيرك، وأن لا يكون قد ضرب أصلا. وإذا قلت: ما أنا ضربت زيدا، لم تقله إلا وزيد مضروب، وكان القصد أن تنفى أن تكون أنت الضارب»[2]، أي أن المتكلم يكون في حالة نفي وقوع الضرب منه لزيد أو حتى لغيره فنقول: ما ضربت زيدا ولا أحدا من الناس، ومن ثم تدخل ضمن هذا القول أن يكون الضارب لزيد في افتراضات من قبيل أن يكون الضارب لزيد غيره لا المتكلم، أو يكون مع نفي الفعل إثبات فعل هو ضده، تقول ما ضربت زيدا، ولكني أكرمته، وفي ذلك احتجاج على عدم وقوع الضرب من المتكلم ومن هنا تبرز براعة المتكلم في توجيهه للنفي وجهة تخدم إستراتيجيته الاقناعية من خلال نفيه لفعل وإثباته لآخر، وذلك بقصد إقامة الحجة والدليل، فمن خلال هذا النص يرى الجرجاني أن النفي الذي يكون فيه تقديم الاسم يلزم وجود الفعل، ومنه فتقديم النفي له صلة بقصد المتكلم الذي يسعى بدوره إلى التأثير في السامع وإقناعه عن طريق التصرف في ترتيب الكلام.

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- الذكر والحذف:

2-1- الذكر:

أشار الجرجاني أن في بعض الكلام ما يكون لطف الذكر أحسن؛ حيث يقول: « وقد يتفق في بعضه أن يكون إظهار المفعول هو أحسن»[1]، وقد بين ذلك من خلال قول الشاعر:[2]

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِيَ دَمًا لبكيته عَلَيْه ، وَلَكِن سَاحَة الصَّبْر أَوْسَع

وأوضح أن: «سبب حسنه أنه، كأنه بدع عجيب أن يشأ الإنسان أن يبكي دما، فلما كان كذلك، كان الأولى أن يصرح بذكره ليقرره في نفس السامع ويؤنسه به»،[3] ففي هذا المقام كان ذكر المفعول أعمق أثرا في نفس السامع، فذكر المفعول له دور حجاجي يتمثل في استمالة المتلقي أو الزيادة في تلك الاستمالة.

من خلال ما تقدم يمكن أن ننوه لقيمتي الحذف والذكر في التأثير والاستمالة وذلك من خلال ارتباطهما بغرض المتكلم، ومنه فهما يمثلان غرضا إقناعيا ذا بعد حجاجي.

2-2- الحذف:

يعد الحذف من الأساليب البلاغية التي أشار إليها الجرجاني حيث يقول: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت إذا لم تنطبق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن»[4]، من خلال هذا القول يثني الجرجاني على أهمية الحذف البلاغية ويرى أن حذف جزء من الكلام في بعض المواضع أبلغ من ذكره، ويضرب الجرجاني لذلك مثلا بقول الشاعر:[5]

1- المرجع السابق، ص 164.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه، ص 146.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

اعْتَاد قَلْبَك مِنْ لَيْلَى عَوَائِدَه وَهَّاجٌ أَهْوَاءك الْمَكْنُونَة الطَّلَل

رُبْع قَوَاء أَذَاع الْمُعْصِرَات بِهِ وَكُلّ حَيْرَانِ سَار مَاؤُه خَضِل

«قال: أراد لذاك ربع قواء أو هو ربع»[1]، أي أنه حذف كلمة ذاك وحذف أو هو ربع فكان الوزن أقوم والمعنى أبلغ.

ونلاحظ اهتمام الجرجاني بالحذف، لأنه – أي الحذف– ناتج عن شعور المتكلم بحالة ما، فيدفعه هذا الشعور إلى التغافل عن ذكر بعض أجزاء الكلام، وذلك من أجل جعل عقل السامع يفكر ويدقق في الشيء المحذوف حتى يتوصل إلى الغرض المقصود وبذلك يشترك مع المتكلم في هذا الشعور فينتج عن هذا استمالة وهنا نظرا أهمية المحذوف في ملء الفراغ، وهذا ما يقول به حسن المودة، «أن الحذف ظاهرة تمكن التركيب من أن يقول أكثر مما يبدو أنه يقول حرفيا وسطحيا.. وبهذه الخاصية يتحول إلى لغة ثانية لا تقول كل شيء للمتلقي بل تدعوه إلى القيام بمجهود في التأويل والإشراك في بناء التركيب، واكتشاف المعنى الذي يعيشه حذف محدد في مقام معين»[2]، ومن هنا فالحذف عبارة عن تركيب يمثل «بنية لغوية مفتوحة تدفع المتلقي إلى المشاركة والاستمتاع بمتعة ملء الفراغات»[3]، حيث أن هذا الاتساع لا يتحقق إلا من خلال الدور التأويلي للمتلقي في بحثه عن سد الفراغ من الاستنتاجات ومن هنا يظهر الجانب التأثيري الذي يحدثه المتكلم ويبدو بعده الحجاجي واضحا، وبهذا فالحذف ظاهرة تركيبية تعمل على إشراك المتلقي في تأويل المعنى من خلال إعمال الفكر، فينتج بذلك الفرض التأثير والبعد الحجاجي، ويمكننا أن نعرض لعدة وجوه من الحذف.

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، ص:234.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2-2-1-حذف المبتدأ:

يعد حذف المبتدأ من وجوه الحذف في تراكيب الكلام، «ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ، القطع والاستئناف يبدؤون بذكر الرجل، ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاما آخرَ، وإذا فعلوا ذلك، أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ»[1]ويسوق الجرجاني مثلا في ذلك فيقول:[2]

وَعَلِمْت أَنّي يَوْم ذَا ك مَنَازِل كَعْبًا ونهدا

قَوْمٌ إذَا لَبِسُوا الْحَدِّيّ د تَنَمَّرُوا حِلَقًا وقدا

وتعقب نجاح أحمد الظهار على قول الجرجاني فتقول: «فموضع القطع والاستئناف هو مرتبط – في حقيقة الأمر – بنفسية المتكلم إضافة إلى جملة من المواقف التي يمر بها المتكلم، من قبيل تصور ذكرى مؤلمة فيسترسل في الحديث حتى تضيق نفسه، فيقطع كلامه، ثم يستأنف كلاما آخر «جديد» يتعلل به ويواسي نفسه، وكأنه قصد بهذا الحذف تجاوز تلك التجارب المؤلمة من خلال استئنافه لحديث جديد يداوي جرحه»[3].

ففي البيت السابق حذف المبتدأ المتمثل في "هم" ثم استأنف الكلام وكأنه يتجنب ذكرهم لما في ذلك من أثر نفسي، ومن هنا نلمح جمالية حذف المبتدأ التابعة للسياق المشحون بالانفعال، وإلى جانب الطابع الجمالي المتمثل في حذف المبتدأ، يظهر البعد الحجاجي من خلال تنبيه المخاطب، أو تحريك نفسه عن طريق تجسيد صورة مؤثرة على مشاعره وتجعله يتعاطف مع المتكلم، وفي هذا استمالة للمخاطب والتي تمثل بدورها ملمح حجاجي.

2-2-2- حذف المفعول:

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص147.

2- المرجع نفسه، ص 148.

3- نجاح أحمد، الظهار، نظرية النظم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني. ص 148.

وهو وجه آخر من وجوه الحذف، حيث يقول الجرجاني: «فإني أتبع ذلك ذكر المفعول به إلى حذف خصوما، فإن الحاجة إليه أمس، وهو بما نحن أكثر، ومما يظهر بسببه من الحسن والرونق وأعجب وأظهر»[1]، من خلال هذا القول تظهر مزية حذف المفعول به مرتبطةً بقصد وغرض المتكلم وهذا ما يشير إليه الجرجاني بقوله: «فأعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأنفال المتعدية، فهم يذكرونها تارة، ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين»[2]، ويمثل الجرجاني لهذا القول، فيقول: «ألا ترى أنك إذا قلت: هو يعطي الدنانير كان المعنى على أنك أن تعلم السامع أن الدنانير تدخل في عطائه، أو أنه يعطيها خصوصا دون غيرها، وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله الإعطاء لا الإعطاء في نفسه، ولم يكن كلامك مع من حتى أن يكون كان منه إعطاء بوجه من الوجوه، بل مع من أثبت له إعطاء ألا أنه لم يثبت إعطاء الدنانير، فاعرف ذلك فإنه أصل كبير عظيم النفع»[3]، فقولك هو يعطي الدنانير فأنت تثبت صفة العطاء إضافة إلى إثبات نوع العطاء أيضا المتمثل في الدنانير، أما إذا قلنا إنه يعطي وحذفنا المفعول به فنحن نثبت صفة العطاء وكأننا نجادل شخص ينفي فعل العطاء أصلا وبذلك يصبح «الإثبات فعلا كلاميا حاملا لحجة المتكلم نحو المخاطب»[4].

ومن هنا نلاحظ إن الجرجاني ربط حذف المفعول بالقصة والغرض الداعي إليه، والذي يظهر فيه الجانب الحجاجي والتأثيري، لأن المتكلم يريد إيصال أفكاره عن طريق لغة حجاجية.

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص153.

2- المرجع نفسه، ص: 154.

3- المرجع نفسه، ص: 155.

4- حامدة ثقيايت، قضايا التداولية في كتاب دلائل، الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ص:135.

3- الوصل والفصل وبعدهما الحجاجي:

تعد مواضع الوصل والفصل من المباحث التركيبية، وذلك لِما تحمله من بعد بلاغي، ويوضح الجرجاني هذا المبحث من خلال قوله: «اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى... وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها، فقال:(معرفة الوصل من الفصل)، ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل لسائر المعاني البلاغة»[1]، فعبد القاهر من خلال كلامه هذا؛ يشيد بقيمة الوصل والفصل، وأثرهما في إيصال المعنى سليما إلى المتلقي، أي أنهما يمثلان منته البلاغة كما يزعم بعض العرب.

3-1- الوصل:

ويواصل الجرجاني كلامه عن الوصل من خلال حديثه عن العطف الذي يعتبر أحد الروابط التي تعني بترتيب القول، يقول الجرجاني «واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد، ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف على حالها»[2]، أشار من خلال هذا الكلام إلى أنواع العطف وبين أن هناك: عطف بين الكلمات وعطف بين الجمل. ثم يوضح هذا العطف قائلا:« ومعلوم أن فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول..، نحو أن المعطوف على المرفوع فاعل مثله، والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول به أو فيه أوله شريك له في ذلك»[3]، يوضح الجرجاني من خلال هذا القول: أن فائدة العطف بين الكلمات تتمثل في مشاركة الثاني للأول في الإعراب نفسه، ثم بين بعد ذلك فائدة عطف الجمل إذ يقول: «وإذا كان هذا أصله في المفرد، فإن الجمل المعطوف بعضها على بعض

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 222.

2- المرجع نفسه، ص 223.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

على ضربين»[1]، وبين هذا اختلاف العطف في الجمل، حيث أشار إلى نوعين من العطف قائلا: « أما أحدهما أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد...، والذي يشكل أمره هو الضرب الثاني، وذلك أن تعطف الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى، كقولك: زيد قائم وعمرو قاعد»[2]، الذي يعنيه الجرجاني من خلال هذا، أن الذي يهمنا هو عطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب، أما التي لها محل أعرابي فحكمها حكم المفرد، ويضيف الجرجاني ويدقق في ذلك حيث يقول: «وأعلم أنه إنما يعرض الأشكال في "الواو" دون غيرها من حروف العطف، وذلك لأن تلك تفيد مع الإشراك معاني...، ثم إن الذي يوجب النظر والتأمل أن يقال في ذلك: إنا وإن كنا إذا قلنا: زيد قائم وعمرو قاعد، فإنا لا نرى همنا حكما نزعم أن الواو جاءت للجمع بين الجملتين فيه، فإن نرى أمرا آخر نحصل معه على معنى الجمع»[3]، فالجرجاني هنا يشير إلى أمر آخر وهو الفرض إليه في فيوضع ذلك بقوله «فإنا نرى أمرا آخر نحصل معه على معنى الجمع، وذلك أنا لا نقول: زيد قائم وعمرو قاعد حتى يكون عمرو بسبب من زيد، وحتى يكون كالنظيرين والشريكين، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول، عناه أن يعرف حال الثاني»[4]، ويضيف مؤكدا ذلك فيقول: بذلك ذلك أنك إن جئت فعطفت على الأول شيئا ليس منه بسبب، ولا هو مما يذكر بذكره ويتصل حديثه بحديثه، لم يستقم»5، فالعطف هنا دوره يناسب الكلام فيجعل المتلقي يتنبأ بالثاني عن طريق التضام العقلي مثلا: إذا قلت العلم نور والجهل ظلام يتبنى المخاطب ذلك عن طريق ثنائية العلم والجهل مع ثنائية النور والظلام، فمن خلال هذا الجمع يتضح المعنى في ذهن المتلقي، من خلال عمل عقلي يتمثل في الربط:

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه، ص 224.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه، ص 224.

5- المرجع نفسه، ص225.

المتكلم هنا قد أثّر في ذهن السامع وحصل على إقناعه واستمالته من خلال منطقية الربط، وهذه الاستمالة تمثل بعدا حجاجيا متمثلة في الإقناع «نتيجة» ويضيف الجرجاني موضحا فساد الكلام إذا لم يكن الأول بسبب الأول ويقدم هنا مثالا لبيت أبي تمام الذي عابوا عليه الربط غير المنطقي فيه حين يقول:[1]

لا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ إنْ النَّوَى صَبَر وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كريم

وذلك لأجل عدم مناسبة بين مرارة النوى وكريم أبي الحسين، ولا أصل لوجود علاقة تربط هذا الكلام ببعضه ويكون بسبب بعضه بعض، ومنه فمنطقية الربط من العوامل التي تجعل عقل المتلقي يقبل هذا الكلام، ويتأثر به ويحصل له الإقناع.

3-2- الفصل:

يقول الجرجاني في هذا المسلك «وأعلم أنه كما كان في الأسماء ما يصله معناه بالاسم قبله، فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه: وذلك كالصفة التي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به... كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناه لها عن حرف عطف يربطها»[2] من خلال هذا الكلام بين الجرجاني أن الربط بين الجمل يكون بأدوات ربط، وقد لا تتوفر هذا الروابط وضرب مثالا بالصفة والموصوف، ويضيف الجرجاني موضحا أهمية الفصل في قوله: «ومما هو أصل في هذا الباب أنك قد ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن غلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف، لأمر عرض فيها صارت به أجنبية»3، من خلال هذه الإضافة يبين قيمة الفصل ويرى أنه قد يشترط ترك العطف في بعض المواضع، وأن ذكره قد يخل بفهم السامع، ويجعل باقي الكلام غريبا عن كلامه الأول، ويستشهد الجرجاني على هذا من خلال بعض الآيات في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾، «سورة البقرة، الآية: 15»، الظاهر كما لا يخفى.. يقتضي أن

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه، ص 227.

3- المرجع نفسه، ص231.

يعطف على ما قبله من قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾، «سورة البقرة الآية: 14»، وذلك أنه ليس بأجنبي منه، بل نظير ما جاء معطوفا، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ «سورة النساء، الآية: 142». إثر هذا المثال الذي لم يذكر نية العطف من جهة وذكر في موضع آخر يوضح الجرجاني سبب ذلك بقوله: «ثم إنك تجده قد جاء غير معطوف، وذلك لأمر أوجب أن لا يعطف»[1]، وهو أن قوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ «سورة البقرة، الآية: 14»، حكاية عنهم أنهم قالوا، وليس بخبر من الله تعالى: وقوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾، «سورة البقرة، الآية: 15»، فهذه الآية؛ حسب رأي الجرجاني؛ هي:«خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفوهم واستهزائهم، وإذا كان ذلك، كان العطف ممتنعا، لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى، إلى كونه حكاية عنهم»[2]، وهنا يبين الجرجاني سبب ترك العطف؛ وهو أن الآية؛ جاءت حكاية على لسان المشركين، وهم يصفون حالهم أما الآية الثانية فهي إخبار من الله بأنه معاقبهم وهنا لا يمكن العطف لأنه إذا عطف تغير معنى الآية ويصبح الاستهزاء بهم شهادة منهم على أنفسهم ويورد الجرجاني بعد هذا الكلام أمر المتلقي في قوله «وههنا أمر سوى ما مضى يوجب الاستئناف وترك العطف، وهو أن الحكاية عنهم بأنهم قالوا كبيت وكبيت، تحرك السامعين لأن يعملوا مصر أمرهم وما يصنع بهم... وتوقع في أنفسهم التمني لأن لهم ذلك»3 ويوضح كلامه أيضا من خلال قول الشاعر:[4]

زعم الْعَوَاذِل إِنَّنِي فِي غَيْرِةٍ صَدَقُوا ، وَلَكِن غيرتي لَا تنجلي

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص232.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص235.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ويضيف شارحا: «لما حكى عن العواذل أنهم قالوا: هو في غيرة، وكان ذلك مما يحرك السامع لأن يسأله فيقول: فما قولك في ذلك؟ وما جوابك عنه؟ أخرج الكلام مخرجه إذا كان ذلك قد قيل له، وصار كأنه قال: أقول: صدقوا؛ أنا كما قالوا»[1].

من خلال كلام الجرجاني؛ يتضح أثر الفصل في إيضاح المعنى حيث يجعل السامع يخرج الكلام إلى مقتضى التأويل العقلي عن طريق الربط المنطقي الخالي من الروابط المسموعة، وذلك من خلال الربط المعنوي الذي أثر فيه حتى من طرف المتكلم، والذي بدوره استطاع أن يستميل المخاطب ويقنعه في ضبط المعنى المقصود، ومن خلال هذه الاستمالة والإقناع يظهر البعد الحجاجي للفصل وذلك عن طريق مقصديه الإقناع.

1- المرجع السابق، ص 236.

ثانيا: البيان وأبعاده الحجاجية.

إن صلة الإنسان باللغة تبدأ منذ سن مبكرة، أين يتعلم معاني الكلمات المتواضع عليها، وكذا التعبيرات اللغوية، ومع مرور الزمن يبدأ في استعمال اللغة حسب ما يقتضيه السياق وموضوع التخاطب، مما يفرض عليه احداث نوعا من الانتقال في طريقة صياغة المعنى، حيث تظهر المزية والأثر في الكلام، بتعدد الأنماط الخطابية وفق آليات البلاغة المعروفة؛ كالتشبيه والاستعارة والكناية وما تحمله من مظاهر حجاجية.

1- حجاجية التشبيه:

لا يخفى دور التشبيه في توضيح المعنى وإبراز جماليته وتأثيره في المتلقي، ولهذا نجده حاضراً في الفصيح من كلام العرب، وكذا في أساليب القرآن الكريم وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم «إذ به استطاعوا أن يصوروا خواطرهم وأفكارهم، وأن ينبؤوا عما يكن في أنفسهم من معان وأفكار، ولذا اهتمت به الدراسات والبحوث البلاغية»[1]، يقول العلوي في كتابه الطراز: «اعلم أن التشبيه هو بحر البلاغة وأبو عذرتها وسرها ولبابها وإنسان مقلتها»[2]، من خلال هذا الكلام تتجلى مرتبة التشبيه في البلاغة العربية، وكما يعرف القزويني التشبيه: « أنه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بأمر في معنى»[3]، حيث تتضمن هذه المشاركة أغراضا بلاغية وحجاجية هدفها التوضيح أو التأثير.

من هنا يتضح أن الإمام عبد القاهر اعتمد في تفريقه بين التشبيه والتمثيل على وضوح وجه الشبه وخفائه، وعلى مدى وجوده وتحققه في كلا الطرفين، فإن كان وجه الشبه أمرا بينا ظاهرا، له وجود حقيقي في كلا الطرفين لا يحتاج في الوقوف عليه إلى تأول وإعمال عقل «فإن هذا التشبيه يسمى بالتشبيه الظاهر أو الصريح، أما إن احتاج وجه الشبه إلى تأول

1- بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، المملكة العربية السعودية، ط1، 1998، ص 14.

2- العلوي، الطراز، المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبوعة المقتطف، مصر1333، ج1، ص326

3- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص164.

فهو تمثيل»[1]، يقول الجرجاني: «اعلم أن الشيئين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين؛ أحدهما: أن يكون من جهة أمربين لا يحتاج فيه إلى تأول، والآخر: أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأول»[2].

فالمثال الأول: «تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل، نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه، وبالحلقة في وجه آخر، وكالتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخد بالورد، والشعر بالليل والوجه بالنهار»[3]، فهذا تشبيه ظاهر قائم على تشبيه الشيء بالشيء من جهة الشكل أو الصورة أو اللون، « لأن الشبه في هذا كله بيّن، لا يجري فيه التأول، ولا يفتقر إليه في تحصيله، وأي تأول يجري في مشابهة الخد للورد في الحمرة»[4]، فوجه الشبه ضمن هذه التشبيهات له وجود حقيقي وظاهر فيها، لا يحتاج في إدراكه إلى تأويل.

أما المثال الثاني: وهو التمثيل، حيث يكون وجه الشبه خفيا يحتاج في تحصيله إلى ضرب من التأول، وصرف عن الظاهر، ورد شيء إلى شيء، ويمثل له بقوله: «كلام ألفاظه كالعسل في الحلاوة، وكالماء في السلاسة كالنسيم في الرقة، وهم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها»[5]، فوجه الشبه في هذه الأمثلة ليس له وجود حقيقي في كلا الطرفين، ولذا فنحن نحتاج إلى تأول بحثا عن معنى يكون له وجود حقيقي في كلا الطرفين، فيقول كلام ألفاظه كالعسل حلاوة وكالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة، لأن الحلاوة والسلاسة والرقة لا وجود لها في جانب المشبه، فنحن في حاجة إلى تأول نصل به إلى وجه شبه، له تحقق في كلا الطرفين، وهو بعد التأول ميل النفس وحصول الراحة واللذة لها، وهذا الوجه يوجد في

1- بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية ، ص 149.

2- عبد القاهر الجرجاني اسرار البلاغة، ص 173-174.

3- بسيوني عبد الفتاح فيود، المرجع نفسه، ص149

4- المرجع نفسه، ص 153.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها

الكلام، حيث يُحدث الكلام الجيد في النفس سرورا وأريحية كما يوجد في العسل والماء والنسيم الذي يمتع النفس وتلذذ به.

وفي المثال الثاني: « هم كالحلقة المفرغة، حيث نصل بالتأول من التناسب المحسوس الذي يوجد في الحلقة إلى التناسب الكلي التام الذي لا تفاوت فيها»[1]

وفي مثال آخر يقول الجرجاني: حجة كالشمس في الظهور، ويرى هنا أن تشبيه الحجة بالشمس من جهة ظهورها لا يتم إلا بتأول، فإن حقيقة ظهور الشمس مقترن بعدم وجود حجاب ونحوه يحول بين العين ورؤيتها، وكذلك الأمر بالنسبة للحجة التي تكون ظاهرة، إذا ارتفعت عنها الشبهة التي تدرك بالعقل، وهي التي (الشبه) نظير للحجاب في الماديات، ولذلك نجدهم يقولون: "حجة ظاهرة كالشمس"،« فيكون الجامع بينهما هو مطلق الإدراك، وهذه الصفة مقررة وموجودة في كلا الطرفين، وذلك أن الشمس مدركة بالحس إذا ارتفع الحجاب، والحجة مدركة بالعقل إذا ارتفعت الشبهة، وهذا هو المقصود بالتأول وصرف الظاهر».[2]

ثم يوضح بسيوني عبد الفتاح أن «التمثيل يتفاوت تفاوتا شديدا، فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه بقليل من التأمل كما في مثال: حجة كالشمس في الظهور، ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل كما في المثال الأول «كلام ألفاظه كالعسل في الحلاوة وكالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه لطف فكرة كما في المثال الثاني هم كالحلقة المفرغة»[3]

من خلال هذا نلاحظ أن الفرق بين التشبيه والتمثيل هو أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلا.

1-1- التشبيه الضمني:

1 . المرجع السابق، ص154.

2- الإمام عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان ، ص، 92- 93.

3- بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، ص154.

هو نوع من أنواع« التشبيه يفهم من المعنى، ويتضمنه سياق الكلام»[1]، أنه يلمح فيه الطرفان من المعنى ولا تبنى جملته على إحدى صور التشبيه التي عرفناها، «وغالبا ما يكون المشبه به في التشبيه الضمني برهانا وتعليلا للمشبه»[2]

مثال: قول أبي تمام:[3]

لا تُنْكِرِي عُطْلَ الكريمِ من الغِنَى فالسَّيْلُ حَرْبُ للمكانِ الْعَالي

هنا شبه حال الرجل الكريم المحروم من الغنى بقمم الجبال لا يستقر عليها ماء السيل ولم يأت التشبيه صريحا في صورة من صور التشبيه، بل جاء ضمنيا مفهوما من معنى الكلام، وقد وقع فيه المشبه به تعليلا للمشبه[4]

يعد التشبيه الضمني حسب الجرجاني فرعا من فروع التمثيل، إذ يقول: «وعلى الجملة فينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي والتشبيه هو الأولى بأن يسمى تمثيلا، لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح، مالا تجده يحصل لك إلا من جملة الكلام أو من جملتين أو أكثر، حتى أن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا، كانت الحاجة إلى الجملة أكثر»[5]، ولذلك سمي هذا التشبيه بالجملي، لأنه يكون بين صورتين، كل صورة مجسدة في جملة أو أكثر ومن أهم سماته إخفاء بنية التشبيه فيه، وهي الخاصة التي تميزه عن غيره من التشبيهات.

يقصد المتكلم إلى هذا الأسلوب من التشبيه حينما يأتي بمعنى من المعاني أو قضية من القضايا، ثم يرى أن يأتي لها ببرهان ودليل، ويقيم عليها الحجة، ولقد فطن الشيخ عبد القاهر الجرجاني –رحمه الله– بصفاء ذهنه وثاقب فكره إلى هذا النوع، حيث قسم التمثيل إلى قسمين:

1– بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ص124

2– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4– المرجع نفسه، ص 125.

5– الإمام عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص102

الأول: الذي يجيء أعقاب المعاني.

الثاني: أن يبرز المعنى باختصار في معرضه، وينقل عن صورته الأصلية إلى صورته.

ومن القسم الأول التشبيه الضمني: صحيح أن القسم الأول لا يشمل التشبيه الضمني وحده، كما توهمه عبارة بعض الكاتبين المحدثين، إنما يشمله وغيره، فالتشبيه الذي يأتي عقب المعاني نوعان:[1]

أحدهما: التشبيه الضمني.

وثانيهما: كل تشبيه صريح جاء عقب المعنى.

ومن شواهد التشبيه الضمني التي أوردها الجرجاني نذكر قول أبي تمام:[2]

وَإِذا أَرادَ اللهُ نَشَر فَضيلَةٍ طُوِيَت أَتاحَ لَها لِسانَ حَسودِ

وهنا نجد أن المعنى الذي قصده الشاعر قد تم وكمل، ولكنه أحسّ أن هذا القول يحتاج إلى حجة ودليل، فأنى للحسود أن يكون سببا في انتشار الفضيلة التي طويت وغيبت؟

وكأنما الأمر يحتاج إلى حجة تصدقه فأعقبه بالبيت الثاني:

لَولا اِشتِعالُ النارِ فِيمَا جاوَرَت مَا كانَ يُعرَفُ طيبُ عرفِ العودِ

نرى الشاعر هنا قد أزال من النفس ما علق فيها من شك وريب، وأزاح عنها كل شبهة ولم ترتب بأن لسان الحسود يكون سببا في نشر الفضيلة المغيبة، ألا ترى هذه النار التي تأكل الأخضر واليابس، أكانت تفوح رائحة العود الزكي، ويعرف الجيد من غيره لولا اشتغال النار في كل ما حوله؟ وأنت تدرك أن هذا التشبيه لم يأت على صورة من الصور المعروفة ولكن يلمح من المعنى وبناء عليه.[3]

ويورد الجرجاني أيضا قول أبي تمام:[4]

1- فضل حسن عباس، أساليب البيان، دار النفائس، ط2007,2، ص 252 .

2-الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص 165.

3- فضل حسن عباس ، السابق، ص، 253.

4- عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص، 106.

طولُ مَقامِ الْمرءِ فِي الحَي مخلقُ لَدنياْ جتيهِ فاغتربَ تَتجددِ

فإني رأيْتُ الشَّمسَ زيدتْ مَحَبَّة إلى النَّاس أَن ليْسَتْ عليهم بِسرْمَدِ

فالشاعر يثير قضية هامة؛ ألا وهي أن الرجل إذا طالت إقامته بين أهله و عشريته فإنهم يملونه ويكرهونه، لكن إذا أقام حينا واغترب حينا آخر فإنهم يزدادون تعلقا به ومحبة له، ثم دلل الشاعر على هذه القضية برؤية الشمس التي هي دائمة التجدد[1]، وهذا ما أعطى التشبيه جمالية، ومنه نقول: إن الشاعر في البيت الثاني، يحتج للدعوى الواردة ضمن البيت الأول بواسطة عملية الاستدلال القائمة على المقايسة عن طريق حمل البيت الأول على الثاني، وذلك بقصد نفي الريب أو الشك الذي قد يتسلل إلى نفس المتلقي، ومن ثم يصبح البيت الأول بمثابة طرح قضية تثير الشك، والبيت الثاني احتجاجا لتلك القضية وتقريرا لها.[2]

1-2- التشبيه المقلوب:

تحدث الجرجاني ضمن كتابه "أسرار البلاغة" عن جمالية التشبيه المقلوب، وعرض جملة من الشواهد التي تبين مزاياه وقيمته، وسنحاول الوقوف على البعد الحجاجي لهذا التشبيه انطلاقا من تحليل نصوص الجرجاني:

من شواهد التشبيه المقلوب التي أوردها قول محمد بن وهيب الحميري في مدح المأمون:[3]

وبَدَا الصّباحُ كَأنّ غرّتَهُ وَجْهُ الخَليفة حِينَ يُمْتَدَحُ

في هذا البيت قلب الشاعر التشبيه، فهذا على أنه جعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأشهر وأتم وأكمل في النور والضياء من الصباح فاستقام له بحكم هذه النية أن يجعل الصباح فرعا ووجه الخلفية أصلا، هنا شبه غرّة الصباح بوجه الخليفة، ثم يضيف قائلا: «واعلم أن هذه الدعوى وإن كنت تراها تشبه قولهم "لا يدري أوجهه نور أم الصبح؟ وغّرته ضوء أم البدر؟

1- فضل حسن عباس، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 255.

2- المرجع نفسه، ص، 256 ,255,

3- عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 195.

وقولهم إذا أفرطوا نور الصباح يخفى في ضوء وجهه، أم نور الشمس مسروق من جبينه، وما جرى في هذا الأسلوب من وجوه الإغراق والمبالغة، فإن الطريقة الأولى خلابة و لها شيئا من السحر»[1].

ولذلك فجمالية التشبيه المقلوب عند الجرجاني قائمة على قلب طرفي التشبيه، وما ينتج عنه من إغراق ومبالغة مبنية على أساس الحجاج والادعاء، فيكون لهذا القلب تأثير قوي على السامع في استمالته وإثارة السرور والعجب في نفسه، وهو ما نلمحه ضمن بيت محمد بن وهيب إذ كان يستكثر للصباح أن يشبهه بوجه الخليفة، ويوهم أنه قد احتشد له، واجتهد في طلب تشبيه يفهم به أمره، وجهته الساحرة أنه يوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر[2]، ويفيد كما من غير أن يظهر ادعاؤه لها؛ لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه، ويزجي الخبر عن أمر مسلم لا حاجة فيه إلى دعوى، ولا إشفاق من خلاف مخالف، وإنكار منكر، وتجهم معترض، وتهكم قائل (لم) (ومن أين لك ذلك؟)، والمعاني إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها ضرب من السرور خاص، وحدث بها نوع من الفرح عجيب، فكانت كالنعمة لم تكدرها المنة، والضيعة لم ينقصها اعتداء المصطنع لها.[3]

نفهم من كلام الجرجاني أن حجاجية التشبيه المقلوب وجماليته تبرز عن طريق الادعاء والمبالغة التي يرمي إليها المتكلم، سالكا بذلك طريق التخيل والإيهام في قلب التشبيه من خلال تشبيه الأعظم بالأصغر، والأبعد بالأقرب، والأكثر بالأول[4]، فإن قلب التشبيه له صلة وثيقة بالتخييل، إذ يجعل الأصل فرعا أو العكس، فيكون بذلك حجاج المتكلم وادعاؤه (الشاعر) مقبولا ومسلما به لدى السامع من حيث إنه يأتيه بصورة غير متوقعة تحرك النفس

1- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 183

2- عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص195.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- الخطيب القزويني، الإيضاح، ص 183

وتدفعها إلى إحالة الفكر، للوصول إلى المعنى الجامع بينهما والغرض الذي أمّه المتكلم وقصده، يقول الجرجاني: «وقد يقصد الشاعر على عادة التخييل أن يوهم في الشيء وهو قاصر عن نظيره في الصفة، أنّه زائد عليه في استحقاقها، واستجاب أن يجعل أصلا فيها، فيصح على موجب دعواه وشوقه إلى أن يجعل الفرع أصلا، وإن كنا إذا رجعنا إلى تحقيق لم نجد الأمر يستقيم على ظاهر ما يضع اللفظ عليه.[1]

ومنه قوله تعالى حكاية عن مستحلّي الربا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾ ، سورة البقرة (الآية: 275) فإن مقتضى الظاهر أن يقال: إنما الربا مثل البيع؛ إذ الكلام في الربا لا في البيع، فخالفوا لجعلهم الربا في الحِلِّ حالاً من البيع وأعْرفَ به.[2]

من خلال ما سبق من الأمثلة التي أوردها الجرجاني في حديثه عن التشبيه، حيث بيّن مواقعه وخصائصه وتأثيره في السامع من خلال ما يضفيه على الكلامن مزية تتمثل في صورة جمالية إقناعية تحمل بعداً حجاجيا، ويؤكد الجرجاني ذلك بقوله: «واعلم أنّ مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضها، ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكساها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبا من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، وإن كان حجاجا كان برهانه أنورا وسلطانه وبيانه أبهرا»[3].

1- عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 149.

2- الخطيب القزويني،المرجع نفسه، ص 184 .

3- عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 115.

ما يمكن استنتاجه من هذا التأكيد أن للتشبيه بعداً حجاجيا عن طريق ما يحدثه في النفس من أثر.

2- حجاجية الاستعارة:

للاستعارة دور فعال في النظرية الحجاجية، فقد اختلفت تعريفات المحدثين في مفاهيمها، حيث نجد "أبا بكر العزاوي" في كتابه "اللغة والحجاج" يعرفها في قوله: «الاستعارة من الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية؛ بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جداً، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية وما دمنا نعدّ الاستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري»[1]

ويقول الجرجاني أيضا: «اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية»[2]

ويقصد الجرجاني في هذا التعريف أن الاستعارة هي نقل للكلمة من معناها اللغوي إلى معنى آخر لم تعرف به، وعلى هذا فالاستعارة إلى هنا لا تعني سوى نقل الكلمة من معناها الذي عرفت به إلى معنى آخر غير ذلك المعنى، أو هي استعمال الكلمة في غير ما وضعت له أساساً، هذا النقل أو هذا الاستعمال لا يكون ثابتا، وإنما هو بمثابة العارية.

وبعد الإمعان في الشرح والتفصيل في الاستعارة نجده يبين حقيقتها، وأنها ليست مجرد نقل، وإنما هي ادعاء.[3]

1- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص105

2- عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص 222.

3- زينب يوسف عبد الله هاشم ،الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة العربية 1994، ص30 .

نرى الجرجاني يبين حقيقة الاستعارة والصورة التي تظهر بها، وما بداخلها من معان، فبدأ بتأكيد فكرة الادعاء في الاستعارة التي تعني الاتحاد بين المشبه والمشبه به إلى درجة تُمكّن المستعير من جعل أحدهما الآخر، وقد اعتمد على كثير من الأدلة نوردها فيما يلي:[1]

✓ يقول عبد القاهر: «وفي الفعل والصفة شيء آخر وهو أنك تدعي معنى اللفظ المستعار للمستعار له، فإذا قلت: "قد أنارت حجته" و"هذه حجة منيرة" فقد ادعيت للحجة النور ونتيجة، لما تظهره الحجة من إيضاح وبيان للأمور، فقد ادّعى النور للحجة كقولك: "أنارته حجته" أو "هذه حجة منيرة".»[2]

✓ ويقول: «فقد تبين من غير وجه أن الاستعارة إنما هي ادعاء معنى الاسم لشيء لا نقل الاسم عن الشيء»[3]، وبهذا المعنى تصبح الاستعارة مبينة على ادعاء دلالي، وليست نقلا للألفاظ من مواضع معينة إلى مجالات مختلفة، لأن الاستعارة ليست حركة بالألفاظ، إنما هي حركة في المعاني والدلالات، لذلك تعد طريقة من طرق الإثبات الذي يعتمد على الادعاء[4]، وهذا ما وضحه الجرجاني بقوله: « فإذا ثبت أن ليست الاستعارة نقل الاسم، لكن ادعاء معنى الاسم، وكنا إذا عقلنا من قول الرجل: "رأيت أسداً" أنه أراد المبالغة في وصفه بالشجاعة، أو أن يقول: "أنه من قوة القلب، ومن فرط البسالة وشدة البطش، فإن الخوف لا يغامره والذُّعر لا يعرض له، بحيث لا ينقص عن الأسد[5]، لم نعقل ذلك من لفظ الأسد، لكن من ادعائه معنى الأسد الذي رآه»[6]

1- المرجع السابق، ص 31.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 437.

4- حسن المودن ، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، ص25 .30

5- عيد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص432.

6- المرجع نفسه، ص438.

✓ الادعاء ليس في الفعل والصفة فقط، بل في الاستعارة بصورة عامة «فمن شأنها أن تسقط ذكر المشبه، من البين وتطرحه وتدعي له الاسم الموضوع للمشبه به ما مضى في قوله: "رأيت أسدا" تريد رجلا شجاعا، بمعنى دخول المشبه (الرجل الشجاع) في جنس المشبه به الأسد، وصيرورته فردا من أفراده، فينتقل بذلك الإنسان من حقيقته الإنسانية إلى الأسدية من خلال المساواة في الصفة المشتركة بينهما، وهو ما يؤكده الجرجاني بقوله: «إذا قلت: رأيت أسداً فقد أدعيت في إنسان أنّه أسد، وجعلته إياه، ولا يكون الإنسان أسداً»[1]

✓ إن سر بلاغة الاستعارة عند عبد القاهر في الإثبات، لأن موضوعها قائم على إثبات معنى يُفهم من معنى اللفظ لا من اللفظ نفسه، وبيان ذلك أنك إذا قلت "رأيتُ أسداً" كنت قد أفدت معنيين؛ الأول: وقوع الرؤية منك على الأسد، والثاني: تشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة، والشجاعة هي الشيء المثبت لهذا الرجل، وسر بلاغة الاستعارة لا يمكن في الكلام المتروك على ظاهره –المعنى الأول– ولا في المبالغة في شجاعة الرجل ومساواته بالأسد –المعنى الثاني– بل في التأكيد على إثبات المساواة في الشجاعة[2]، يقول عبد القاهر: «ليست المزية التي تراها لقولك "رأيت أسداً" على قولك "رأيت رجلا لا يتميز عن الأسد في شجاعته وجرأته" أنك قد أفدت بالأول زيادة في مساواته الأسد، بل أن أفدت تأكيداً شديداً وقوة في إثباتك له هذه المساواة، وفي تقريرك لها، فليس تأثير الاستعارة إذن في ذات المعنى وحقيقته، بل في إيجابه والحكم به فالمزية، ليست في ذات المعنى المثبت بل في إثبات هذا المعنى»[3]

وزيادة في الإقناع يورد عبد القاهر بعض الاحتجاجات التي قد تتبادر إلى الأذهان أنها ضد فكرته فيقول: «واعلم أنه قد يهجس في نفس الإنسان شيء يظن من أجله أنه ينبغي

1- المرجع السابق، ص439.

2- المرجع نفسه، ص 446.

3- المرجع نفسه، ص471.

أن يكون الحكم في المزية التي تحدث بالاستعارة»[1]، أنها تحدث في المثبت دون الإثبات وذلك أن تقول: إنا إذا نظرنا للاستعارة وجدناها إنما كانت أبلغ من أجل أنها تدل على قوة الشبه، وأنه قد تناهى إلى أن صار المشبه لا يتميز عن المشبه به في المعنى الذي من أجله شبه به وإذا كان

كذلك كانت المزية الحادثة بها حادثة في الشبه، وإذا كانت حادثة في الشبه كانت في المثبت دون الإثبات "فالكلام هنا قائم على أن المزية في المثبت لا في الإثبات، أي أن المزية كانت في أن تناهي الشبه في القوة إلى أن صار المشبه لا يتميز على المشبه به في معنى الشجاعة، فالمزية إذا حادثة في الشبه لذلك فيها في المثبت دون الإثبات"[2]

يسلم عبد القاهر بأن الاستعارة تقتضي قوة، لكن قوة الشبه هذه ليست سبب المزية، لأنك في قولك "رأيت رجلا مساويا للأسد في الشجاعة، ولولا صورته لظننت أنك رأيت أسدا "تظهر قوة في الشبه بين المشبه والمشبه به، ولو كانت المزية في هذا لتساوت هذه الجملة "رأيت رجلا مساويا للأسد في الشجاعة" بقولنا: "رأيت أسد" تأكيدا وقوة في إثبات هذه المساواة، فإن قال قائل: "إن المزية من أجل أن المساواة تُعْلَمُ "رأيت أسد" من طريق المعنى، وفي "رأيت رجلا" مساويا للأسس من طريق اللفظ"[3].

فقول الشاعر:[4]

فَأَسْبَلَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وِرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى العِتَابِ بِالبردِ

يفيد أن الدمع لا ينقص من شبه اللؤلؤ والعين من شبه النرجس شيئا، فلا تحسبن أن سبب الحسن الذي تراه فيه الأريحية التي تجدها عنده، إنه أفادك ذلك فحسب، بل لأن مثل هذا التعبير يفيد التأكيد على إثبات شدة الشبه لدرجة تتلاشى فيها الأبعاد بين المشبه

1- المرجع السابق ، ص، 448.

2- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص 449.

4- عبد الرحمان الدمشقي، ديوان الواواء الدمشقي، تح: سامي الدهان، دار صادر، بيروت، ط2، 1993، ص35.

والمشبه به، وهذه هي وظيفة الاستعارة وسبب المبالغة فيها، لأن المساواة في الشبه يمكن الحصول عليها بصريح العبارة كأن نقول: "فأسبلت دمعا كأنه اللؤلؤ بعينه من عين كأنها النرجس حقيقة" لذلك كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة لإفادتها مالا تفيد الحقيقة[1]، يقول عبد القاهر: "ومن أجل أن كان الأمر كذلك، رأيت العقلاء يثبتون القول بأن من شأن الاستعارة أن تكون أبدا أبلغ من الحقيقة وإلا فإن كان ليس هاهنا إلا نقل اسم من شيء إلى شيء فهنا لما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة فإن ذلك يثبت أنها ليست لمجرد النقل، إذ إنها لو كانت مجرد نقل اسم من شيء إلى شيء آخر ما كان لها فضل ومزية على الحقيقة[2].

فقولنا "رأيت أسد" مزية على قولنا "رأيت شبيها بالأسد"، وقد علمنا محال أن يتغير شيء في نفسه بأن ينقل إليه اسم قد وضع إلى غيره، ن بعد أن لا يراد من معنى ذلك الاسم فيه شيء بوجه من الوجوه، بل يجعل كأنه لم يوضع لذلك المعنى الأصلي أصلا وفي أي عقل يتصور أن يتغير معنى "شبيها بالأسد" بأن يوضع لفظ "أسد" عليه وينقل إليه[3].

إن عبد القاهر استمر كعادته في الشرح لإثبات فكرة الادعاء، فقوله: "واعلم أن العقلاء بنوا كلامهم، فإذا قاسوا وشبهوا على أن الأشياء تستحق الاسامي لخواص معان هي فيها دون ما عداها، فإن أثبتوا خاصة شيء لشيء أثبتوا له اسمه، فإذا جعلوا "الرجل" بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد ولا يعدم منها شيئا قالوا: "هو أسد"، وإذا وصفوه بالتناهي في الخير والخصال الشريفة أو بالحسن الذي يبهر قالوا: "هو ملك" وإذا وصفوا الشيء بغاية الطيب قالوا: "هو مسك"، وكذلك الحكم أبدا، ثم إنه إذا استقصوا في ذلك نفوا عن المشبه اسم جنسه فقالوا: "ليس هو بإنسان، وإنما هو أسد" وليس هو آدميا، وإنما هو ملك[4]، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ

1- عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص، 449,450.

2- المرجع نفسه، ص، 432.

3- المرجع نفسه، ص، 433.

4 . المرجع نفسه، ص 433، 434.

وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ، سورة يوسف،(الآية:31)

وإذا لم يريدوا أن يخرجوه عن جنسه جملة قالوا: "هو أسد في صورة إنسان" و"هو ملك في صورة آدمي".[1]

وقد ميز الجرجاني في الادعاء بين الاستعارة والتشبيه البليغ في قوله: "أن جعل المشبه به على ضربين: أن تنزله منزلة الشيء تذكره بأمر قد ثبت له، فأنت لا تحتاج إلى أن تعمل في إثباته وتوجيهه، حيث تسقط ذكر المشبه من البين ولا تذكره بوجه من الوجوه كقولك: «رأيت أسدا»

والثاني: أن تجعل ذلك كالأمر الذي يحتاج إلى أن تعمل في إثباته وتزجيته، حيث تجرى اسم المشبه به خبرا على المشبه، فتقول: "زيد أسد، و زيد هو الأسد"، أو تجيء به على وجه يرجع إلى هذا كقولك: «إن لقيته لقيت به أسدا، وإن لقيته ليلقينك منه الأسد»، فأنت في هذا كله تعمل في إثبات كونه أسدا أو الأسد، وتضع كلامك له، أما في الأول فتخرجه مخرج مالا يحتاج فيه إلى إثبات وتقرير، والقياس يقتضي أن يقال في هذا الضرب ما أنت تعمل في إثباته وتزجيته: إنه تشبيه على حد المبالغة ويقتصر هذا ولا يسمى "استعارة".[2]

فالفرق بين الادعاء في الاستعارة وبين التشبيه البليغ يكمن في مقصد المتكلم، إذا يدعي ضمن الاستعارة صيرورة المشبه ودخوله في جنس المشبه به، من أجل إثبات حكم المشبه للمشبه، أما في التشبيه البليغ فلا يكون القصد ذاك، إنما جعل المشبه عين المشبه به بغرض المبالغة، فالفرق بينهما مرتبط بقضية الإثبات، فالاستعارة يراد بها إثبات حكم

1 . المرجع السابق، ص 434.

2 . المرجع نفسه، ص 68 ،67.

بخلاف التشبيه البليغ الذي لا يراد به ذلك، ومن خلال هذا الإثبات يتجلى الطابع الحجاجي للاستعارة، التي تقوم عند الجرجاني على مفهوم الادعاء.[1]

والادعاء عند عبد القاهر هو سر إدراكه للالتباس الاستعاري يقوم في قوله بـ"الادعاء".

واعلم أن العمدة في فهم مبدأ عبد القاهر في هذه المسائلة أن لأن إنتاجه البلاغي يتميز بالخاصيتين المتعارضتين التاليتين[2]:

* **إنتاج جدالي:** لم يألُ عبد القاهر جهدا في الاعتراض على مقولات بيانية مشهورة، وفي دفع أساليب بديعية سائدة عن أسلافه من نقاد البلاغة، وخير دليل على ذلك كثرة العبارات الجدلية على لسانه مثل: "إن قلتم....قلنا" و"فإن قيل.... قيل"، و"ما هو إلا كذا وكذا" و"كيف لا يكون كذلك معا أنه كذا وكذا؟".

***إنتاج تأسيسي:** فقد تولى عبد القاهر إنشاء مقولات وأدوات للنقد البلاغي، ولم يُسبق إليها، واستحق لذلك أن يُعَدَّ مؤسس علم البلاغة العربي.

ولما اجتمع لهذا الإنتاج وصف الجدال ووصف التأسيس، فقد جاء مشتملا على مبادئ تزاوج بين مقتضى النقد القديم ومقتضى البناء الجديد، وكل صياغة لهذه المبادئ يجب أن تتوخى حفظ هذا التردد بين الطرفين[3]، ومن هذه المبادئ ما يساعدنا على بيان خصائص الإدعاء؛ وهي:[4]

* **مبدأ ترجيح المطابقة:** مقتضاه أن الاستعارة ليست في المشابهة بقدر ما هي في المطابقة.

---

1 . حسن المودن بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة، ض250

2- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص305

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- حسن المودن، المرجع السابق، ص251,250

* **مبدأ ترجيح المعنى:** مقتضاه أن الاستعارة ليست في اللفظ بقدر ما هي في المعنى.

* **مبدأ ترجيح النظم:** مقتضاه أن الاستعارة ليست في الكلمة بقدر ما هي في التركيب.

وتفصيل القول في وجوه اشتغال الجرجاني بهذه المبادئ في مجال الخطاب الاستعاري على النحو الآتي:

2-1- مبدأ ترجيح المطابقة والمقتضى المطابقي:

ينبني على مبدأ ترجيح المطابقة أن المستعير يبلغ بالتشابه بين المستعار منه والمستعار له درجة ينتقي معها الاختلاف والتفاوت بينهما، حتى يصيرا عنده شيئا واحد، ولا سبيل إلى ذلك إلا بعمليات تعبيرية وتفكيرية مخصوصة، وتقوم العمليات التعبيرية أساسا في إسقاط اسم المستعار له والاختصار على ذكر المستعار منه، وتقوم العمليات التفكيرية في تركيز الفكر على الجامع بين المستعار له والمستعار منه وإطراح ما عداه من الأوصاف، ثم في تناسي الوظيفة التشبيهية، وتحقيق معنى الإعارة الكاملة، حتى يقع اسم المستعار منه على مسمى المستعار له وقوعه على مسماه.

والمقتضى المطابق للادعاء هو أن القول الاستعاري يحتمل تخريجه على المعنى الظاهر فضلا عن احتماله الدلالة على المعنى المجازي.[1]

2-2- مبدأ ترجيح المعنى والمقتضى المعنوي:

يترتب على مبدأ ترجيح المعنى أن التغيير الذي تحدثه الاستعارة في اللفظ لا تعلق له بتأليف حروفه وصور مخارجها، إنما تعلقه أساسا بالمعنى، أما اللفظ فمرتب على المعنى بوصفه وعاء لهن وبما أن الإعارة تلحق المعنى قبل أن تلحق المبنى فمدار فهم الاستعارة ليس على المعنى المأخوذ مباشرة من اللفظ، بل على معنى ثانٍ يتولد في النفس بطريق هذا المعنى المباشر الأصلي، ويصل إليه المستمع إما بلزوم قريب عن المعنى الظاهر أو بلزوم

1 . طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص305

بعيد يقتضي وسائط دلالية أخرى تزيد أو تنقص[1]، وهو ما يؤكده الجرجاني بقوله: "فالاستعارة في هذه القضية وذاك أن موضوعها على أنك تثبت بها معنى لا يعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ ولكنه يعرفه من معنى اللفظ"[2]

وبذلك يكون المقتضى المعنوي للادعاء هو أن القول الاستعاري يستند إلى بنية استدلالية.[3]

2-3- مبدأ ترجيح النظم والمقتضى النظمي:

ينبني على مبدأ ترجيح النظم أن الكلام متعلق بعضه ببعض ومترتب بعضه على بعض بوجه مخصوص[4]، يقول الجرجاني: "واعلم أن مما هو أصل في أن يدقق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتخذ أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هاهنا في حال ما يضع بيساره هناك[5]، ولا يستقيم إحكام هذا التعلق وضبط هذا التعلق وضبط هذا الترتيب إلا بتوفر أمرين:

- أولهما مقتضيات العقل: فليس النظم مجرد توالي الألفاظ في عملية النطق، إنما هو تناسق دلالتها فيما بينها تناسقا يستوفي شرائط التعليل العقلي.

- وثانيهما قوانين النحو: ليس النحو هنا مجرد النظر في الصور الإعرابية للجملة لتبين وجوه سلامتها التركيبية؛ بل هو النظر في أسباب التفاضل التعبيري والتبليغي لهذه الجملة، فضلا عن قيامها بشرائط السلامة التركيبية.

1 . المرجع السابق، ص 306 -305

2 . عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص251

3 . حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص251

4 . طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص306,305

5- عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 87

وهكذا يكون المقتضى النظمي للادعاء: "هو أن القول الاستعاري يصير تركيبا خبريا أصليا، لا ينحصر في الربط بين مخبر عنه ومخبر به، بل يضيف إليها عنصراً ثالثا هو ذات المخبر، بذلك ينقل الجرجاني القول الاستعاري من مرتبة الدلالة المجردة إلى مرتبة التداول، التي تتوخى مقتضيات مقام الكلام[1]، وبهذه المقتضيات والمبادئ يتبين أن القول الاستعاري عند الجرجاني هو أن "تجتمع له الأوصاف الثلاثة: أنه تركيب خبري، وأنه قابل للأخذ على جهة الحقيقة، وأنه مشتمل على بنية تدليلية"، وكل قول هذه أوصافه يعد في سياق الجدل الذي نهجه الجرجاني بمنزلة دعوى، ويعد صاحبه مدعيا، ويعد عمله ادعاء.[2]

إن مفهوم الادعاء عند طه عبد الرحمان كان منطلقاً لإدراك حجاجية الاستعارة، وقد نبّه إلى مفهوم ثانٍ لا يقل أهمية عن المفهوم الأول؛ ألا وهو الاعتراض الذي نلمحه ضمن تصور الجرجاني للاستعارة من خلال حضوره المضمر، وقد "كاد أن يصرح بما يضمره، من أن الادعاء والاعتراض يجتمعان في القول اجتماعاً، وكان على وشك أن يسقط بذلك أقوى المبادئ رسوخاً في النفوس وأمكنها في العقول؛ ألا وهو مبدأ عدم التناقض"[3]

في هذا السياق يقدم طه عبد الرحمان مقاربته التعارضية للاستعارة عن طريق الافتراضات الآتية:[4]

- القول الاستعاري قول حواري، وحواريته صفة ذاتية له.
- القول الاستعاري قول حجاجي، وحجاجيته من الصنف التفاعلي نخصه باسم "التحاج".
- أن القول الاستعاري قول عملي، وصفته العملية تلازم ظاهره البياني والتخيلي.

من خلال هذا التصنيف الذي يبينه طه عبد الرحمان في أنواع القول الاستعاري حيث يقسمها إلى قول حواري وقول حجاجي؛ تتجلى فيه حجاجية الاستعارة وبيان آليتا الادعاء

1- طه عبد الرحمان، المرجع السابق، ص306

2- المرجع نفسه، ص307

3- المرجع نفسه، ص309

4- المرجع نفسه، ص310

والاعتراض اللتان تُعدان من آليات الحجاج وهذا ما يشير إلى تفطن الجرجاني بقوة هذه الآلية البلاغية في التأثير و الإقناع والاستمالة.

لذلك كان الجرجاني يعارض جعل الاستعارة تزيينا زخرفيا حيث يقول: هي ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتدركه العقول، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والآذان، ويؤكد هذا القول أن الاستعارة لها دور حجاجي وإقناعي فاعل ومؤثر في استمالة المخاطب وإقناعه.[1]

ويضيف الجرجاني واصفاً شرف الاستعارة إذ يقول: «ومما هو أصل في شرف الاستعارة، أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات، قصد إلى أن يلحق الشكل بالشكل وأن يتم المعنى والشبه فيما يريد»[2]، ويسوق الجرجاني لذلك مثالاً ببيت لامرئ القيس:[3]

فَقُلْتُ لَهُ لمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدف أَعْجَازاً وَنَاء بِكَلْكَلِ

فالشاعر هنا حين يريد أن يتم المعنى الذي يصبو إليه وأن يشبه ما يريد تشبيهه «جعل لليل صلبا قد تمطى به، ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب، وثلَّث فجعل له كلكلاً قد ناء به، فاستوفى له جملة أركان الشخص وراعى ما يراه الناظر من سواده»[4]، ومن خلال ربط التمطي بالخطى مع النظري إلى الإمام، وربط أردف أعجازاً بالنظر إلى الخلف وناء بكلكلٍ بمد البصر.

3- حجاجية الكناية:

تحدث الجرجاني في فصل من فصول كتابه "دلائل الإعجاز" عن الاتساع، وأسماه "في اللفظ يطلق والمراد به غير ظاهره"، والذي يدور حول الكناية والمجاز، فيتجاوز بذلك

1- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص 13

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 79.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه، ص 79.

حدود البنية الظاهرية إلى أغراض تستفاد من سياق القول المجازي، وهذا من خلال سعي المتكلم إلى إثبات واقع ما انطلاقا من بنية القول.[1]

فالجرجاني قام بإلحاق الأقاويل المجازية بنظرية النظم، وهي متعلقة باختيارات يقوم بها المتكلم أثناء إنجازه للقول، يقول الجرجاني: «والمراد ها هنا بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه».[2]

فالكناية قائمة على إثبات صفة أو معنى من المعاني وانتقالها من المعنى الحرفي إلى المعنى السياقي المراد (الثاني)، وهو ما يؤكده الجرجاني بقوله: "فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى، ثم لم يذكره بلفظه الخاص به، لكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود وأن يكون إذا كان، نحو قولهم: كثير الرماد يراد به كثير القرى، وقولهم طويل النجاد، الذي يراد به طويل القامة.[3]

المعنى الحرفي (كثير الرماد): ⟵ المعنى المضمر (كثير القرى).

نلاحظ في هذين المثالين اتساعا في المعنى من خلال الانتقال من المعنى الظاهر الذي يدل عليه اللفظ إلى معنى مضمر يفهم منه.

ثم ميز الجرجاني بين مستويين في المعنى:

يقول: «ألا ترى أنك... إذا قلت في المرأة "نؤوم الضحى" فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، والذي يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانٍ هو غرضك»[4]، فمنه المعنى الأول المباشر الذي يرتبط بظاهر اللفظ، والمعنى الثاني مضمر الذي هو معنى المعنى،

1- حامدة ثقبايت، قضايا تداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ص 105.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 66.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه، ص203.

وتكون له علاقة بقصد المتكلم، حيث يتولد ذلك المعنى الجديد بطريقة استدلالية، ومن ثم فإن الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني يحتاج إلى عملية استدلالية للوصول إلى المعنى الثاني المقصود، ويجب أن يكون هذا الاستدلال مؤسساً على مرجعية (أرضية) مشتركة بين المتكلم والمخاطب، حيث يحدث ذلك الانتقال، فمن جهة المتكلم يشترط في كلامه جودة الصياغة، أما المخاطب فيشترط فيه أن يمتلك مرجعية فكرية تأهله وتساعده على الاستدلال والتأويل للوصول إلى فهم معنى المعنى (المراد).[1]

المعنى الأول ⟵ المعنى الثاني

دليل (نؤوم الضحى) ⟵ مدلول (مخدومة في أهلها).

هذه العملية الاستدلالية التي يفهم من خلالها المعنى المقصود مرتبطة بالتأويل: أعني تأويل المخاطب بواسطة استلزامات عقلية توصله إلى المعنى المراد ففي قولهم "تؤوم الضحى" أي مُرفهة مخدومة، غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات، ذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش، وكفاية أسبابه، وتحصيل ما يُحتاج إليه في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها، فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينبون عنها في السعي.[2]

وأيضا من قولهم: "هو كثير رماد القدر، عرفت منه أنهم أرادوا كثير القرى والضيافة، لم تعرف ذلك من اللفظ، ولكن عرفته بأن رجعت إلى نفسك فقلت: إنه كلام قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح في كثرة الرماد، فليس إلا أنهم أرادوا أن يدلوا بكثرة الرماد على أنه تنصب القدور الكثيرة، ويطبخ فيها للقرى والضيافة، وذلك إذا كثر الطبخ في القدوم كثر إحراق الحطب تحتها، وإذا كثر إحراق الحطب كثر الرماد لا محالة.[3]

1- حامدة ثقبايت، قضايا تداولية في دلائل الإعجاز عند القاهر الجرجاني ق ،ص106.

2- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص241.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 316

وأيضا في قول الشاعر:[1]

وَمَا يَكُ فِي عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الكَلْبِ مَهْزُولُ الفَصِيلِ

فإن الكناية هنا تتمثل في الانتقال من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لأن يعسى دونها مع كون الهرير في وجه من لا يعرفه طبيعيا له، إلى استمرار تأدبه؛ لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى، ومن ذلك إلى استمرار موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجهاً إثر وجوها، ومن ذلك إلى كونه مقصد أدانٍ وأقاصٍ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف. وكذلك ينتقل منه هُزال الفصيل إلى فقد الأم، ومنه إلى قوة الداعي إلى نَحْرِها، لكمال عناية العرب بالنوق لاسيما المُثْلِياتِ، ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ، ومنها أنه مضياف.[2]

ومن هذا يعني أن الكناية أبلغ من التصريح، لذا فهي تستدعي من المخاطب أن يقوم بعملية استدلالية، ليصل من خلالها إلى معنى المعنى، أي مقصود الشاعر، ويكون على النحو الآتي:

جبان الكلب ⟵ كثرة الزائرين ⟵ كثير الضيافة: أنه مضياف.

ومن هنا تبرز حجاجية الكناية التي عدها الجرجاني، على أنها أفصح من التصريح وأن لها وقعا على النفس، ومزية لا تقل عن صور المجاز الأخرى مثل الاستعارة.

حيث يرى أن الجميع قد أجمعوا على أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض وأوقع من التصريح، وأن للاستعارة مزية وفضلا، وأن المجاز أبلغ من الحقيقة.

ثم يعلل الجرجاني في قوله: «وأعلم أن سبيلك أولا أن تعلم أن ليست المزية التي تثبتها لهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره المبالغة التي تدعي لها في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم إليها بخبره، ولكنها في طريق إثباته لها، وتقرير إياها»[3]

1 . الخطيب القزويني، المرجع نفسه، ص243.

2 . المرجع نفسه، ص 244.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 70.

وفي قولهم: "رأيت أسدا" على قولك "رأيت رجلا" لا يتميز على الأسد في شجاعته وجرأته، أنك قد أفدت بالأول زيادة في مساواته الأسد، بل أفدت تأكيدا وتشديدا وقوة في إثباتك له هذه المساواة، وفي قولهم أيضا: "جم الرماد" أنه دل على قرى أكثر، بل المعنى أنك أثبتت له القرى الكثيرة من وجه، وهو أبلغ، وأوجبته إيجابا هو أشد، وادعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحتها أوثق، وفي تقريرك لها، فليس تأثير الاستعارة إذًا في ذات المعنى وحقيقته، بل في إيجابه والحكم به.[1]

وتكمن مزية الكناية والاستعارة في طريقة إثبات المعنى لا في المعنى نفسه، لكن تلك الطريقة تختلف باختلاف قصد وغرض المتكلم.

ومن خلال هذا فإن الكناية والاستعارة ترتكزان على المعاني التي تحمل القصد الحجاجي المتكلم، وهو ما يوضحه الجرجاني بقوله: «فاعلم أنهم يصفون كلاماً قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق معنى المعنى، فكنى وعرض ومثل واستعار، ثم أحسن في ذلك كله وأصاب، ووضع كل شيء منه في موضعه، وأصاب به شاكلته، وعمد فيما كنى به وشبه ومثل لما حسن مأخذه ودق مسلكه ولطفت إشارته، وأن المعرض وما في معناه ليس هو اللفظ المنطوق به، ولكن معنى اللفظ الذي دللت به على المعنى الثاني»[2]

وأشار الجرجاني في توضيحه للمزية في الكناية قائلا: «إن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها مما هو شاهد في وجودها أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها، فتثبتها هكذا ساذجا غفلا، وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، بحيث لا يشك فيه ولا يظن المخبر التجوز والغلط»[3]

1- المرجع نفسه، ص 69-70.

2- المرجع نفسه، ص، 70.

3- المرجع السابق، ص، 71.

ومن هذا نستنتج أن حجاجية الكناية عند الجرجاني تدفع المخاطب إلى الاقتناع بالقول، وتبرز أيضا من فكرة الاستدلال والإثبات، فيكون بذلك التلميح أبلغ من التصريح.

وتطرق الجرجاني أيضا إلى بعض الأنواع التي تدخل فيها من قبيل التلويح والتعريض والرمز والإشارة فقوله كما أن الصفة إذا لم تأتك مصرحا بذكرها مكشوفا عن ووجها، لكن مدلولا بغيرها، كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها، كذلك إثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحا، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز، ومن الحسن والرونق مالا يقل قليله، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه[1]، ومثل ذلك الجرجاني بقول الشاعر:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالمُرُوءَةَ وَالنَّدَى فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الحَشْرَجِ

ثم علق عليها الجرجاني مبينا مزية الكناية فيها، ويثبت هذه المعاني والأوصاف خلالا للممدوح (السماحة والمروءة والندى)، وضرائب فيه فترك أن يصرح فيقول: إن السماحة والمروءة والندى مجموعة في ابن الحشرج، أو مقصورة عليه أو مختصة به، وعدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح، فجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه، وإشارة إليها، فخرج بذلك كلامه إلى ما خرج إليه من الجزالة، وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة، ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البيت لما كان إلا كلاما غفلا وحديثا ساذجا.[2]

ومن هذا نستخلص أن حجاجية الكناية تكمن في خاصية الإثبات والاستدلال، هو أن محاولة المتكلم إثبات معنى أو صفة بإثبات دليلها المرتبط في ظاهر هذا المعنى، فيتم من خلالها الانتقال من المعنى الأول المباشر إلى المعنى الثاني غير المباشر المقصود، وذلك عن طريق الاستدلال، الذي يمارسه المخاطب القائم على التأويل، وعلى هذا فإن الكناية تعد من الأدوات الحجاجية البارزة التي يلجأ إليها المتكلم للتأثير في نفس المتلقي.

1- نور الدين بوزناشة، البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي دراسة تقابلية مقارنة، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف لمين دباغين ،كلية الآداب واللغات، حليفة بوجادي، ص371.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 236

ثالثا: الروابط والعوامل الحجاجية.

ان الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر والبارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له، في بنية اللغة نفسها، ومنه سنعرض لهذه الأخيرة بالتفصيل.

1- الروابط وغرضها الحجاجي:

تعد الروابط من بين الآليات الحجاجية اللغوية الهامة التي يرتكز عليها التحليل فالربط هو" قرينة لفظية تعمل على اتصال أحد المترابطين بالآخر "[1]، حيث أن الرابط يعد وسيلة من الوسائل التي يتحقق بها الاتساق حيث يقول دي بوجراند "الربط يشير إلى العلاقات التي بين المساحات أو بين الأشياء التي في هذه المساحات." [2]وتقوم بالربط بين قولين فأكثر، ضمن هدف إقناعي واحد ولكل رابط سمة حجاجية يمكن قولها أثناء الاستعمال وتؤدي هذه الروابط وظيفة جوهرية داخل الخطاب فهي تعمل على ربط وتنظيم بنية النص وتنشد بالتماسك والانسجام داخله، وتعد من أهم العناصر الحجاجية في الحجاج من خلال جعلها للنص نصاً متماسكاً منسجماً.

ومن أبرز الروابط الأكثر انتشاراً في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني نجد:

1-1- الرابط الحجاجي "الواو":

تعد " الواو" في الحجاج من أهم الروابط الحجاجية وهي الجمع بين الحجج ورصفها وربط المعاني. ويشير هذا الربط "إلى وظيفة الجمع بين قضيتين(حجتين) ويستعمل حجاجياً بوصفه رابطاً عاطفياً يعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعضها الآخر. بل يعمل على رص الحجج وتماسكها وتقويتها، فضلاً عن التدرجية أو السلمية في ترتيب الحجج وعرضها"[3].

1. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، المغرب ، ط1 ، 1994 ، ص213.

2 ـ روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، تح تمام حسان ، عالم الكتب ، ط2، 2007، ص346.

3 ـ ينظر: رسائل الإمام مالك علي عليه السلام في نهج البلاغة دراسة حجاجية ، ص123.

ومثال ذلك: " العلم حسن والجهل قبيح "[1] لأن كون العلم حسناً مضمومًا في العقول إلى كون الجهل قبيحاً. فالربط هنا قام بالربط والوصل بين الحجج وعمل أيضاً على ترتيبها.
ومثال آخر: "واعلم أنه إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدًا كقولنا: "هو يقول ويفعل، ويضر وينفع، ويسئ ويحسن ويأمر وينهى، ويحل ويعقد، ويأخذ ويعطي ويبيع ويشري، ويأكل ويشرب" وانتباه ذلك ازداد معنى الجمع في "الواو" قوة وظهورا، وكان الأمر حينئذ صريحاً ".[2]

فالحجج هنا جاءت مترابطة متسقة غير منفصلة، وكل حجة في هذا تأتي بعد سابقتها تساندها وتقويها، وذلك بفضل الرابط الحجاجي " الواو" وجاء في كتاب دلائل الإعجاز أيضاً مثالاً: عند قولنا " هو يضر وينفع، كنت قد أفدت "بالواو" أنك أوجبت له الفعلين جميعاً، وجعلته يفعلهما معاً، ولو قلت :"يضرب ينفع من غير "واو"" لم يجب ذلك، بل قد يجوز أن يكون قولك: "ينفع" رجوعاً عن قولك "يضر" وإبطالاً له".[3]
فالربط الحجاجي بواسطة "الواو" في هذه الجملة قام بالوصل بين الحجة والأخرى، وترتيبها منطقياً حتى يسهل على السامع إدراكها.

وكما أسهم الرابط الحجاجي "الواو" في كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني في المساعدة على ربط المعاني ببعضها وتقويتها، وكذلك على تتابعها ما ساهم في انسجام الخطاب وتشكيل بنية حجاجية تساعد المحاجج على إثبات فكرته لدى المخاطب وترسيخها في ذهنه وهذا بفضل التتابع بين الجمل الذي أحدثه "الواو" حيث كان القول في أثر القول مما أسهم في التلقي التدريجي للحجج التي تقود إلى الإقناع والتسليم.

عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص226.

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1-2- الرابط الحجاجي "إن":

غالباً ما يرتبط الرابط الحجاجي (إن) بغرض التأكيد والإثبات للشيء، وهذا ما يجعل البنية الحجاجية أقوى وأكثر إقناعا لأن الرابط (إن)في الحجاج هو من الأدوات الفعالة حجاجياً لم يتوفر هذا النوع من الربط من إثبات و تأكيد للأمور والقضايا والحجج، فيكون بذلك أقدر على الإقناع كون التأكيد على الكلام وإثباته يزيل ما حوله من شك وارتياب وإبهام وهو ما يترك أثر في نفس المتلقي ويحثه على تقبله والإقناع به، ولذا فإنه من الروابط التي تسهم في ربط السبب بالنتيجة عبر تقوية ودعم النتيجة وتعليلها ما يحمل المخاطب على القبول، ومن ثم الإقناع، ويؤكد على الغرض التأكيدي الاثباتي ل(إن)قول الجرجاني: " أن المتكلم يلجأ إلى استعمال "إن" حيث يريد أن يبين ما بعدها يصح به ما قبله ويحتج له ويبين وجه الفائدة فيه".[1]

ومن أمثلته: قيل " أجد العرب يقولون : عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله قائم ، ثم يقولون: إن عبد الله لقائم "[2]، فالألفاظ المتكررة والمعنى واحد، أي المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ.

فقولهم "عبد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم : إن عبد الله قائم جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني" .

وتحدث الجرجاني أيضاً على "إن" ومواقعها وجاء في قوله: " واعلم أن هاهنا دقائق لو أن الكندي استقرئ وتصفح وتتبع مواقع "إن" ثم ألطف النظر وأكثر الدبر، لعلم علم ضرورة أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل"

وهنا يعني أن " إن" عندما تدخل على الجملة الاسمية تنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها.

1- المرجع السابق، ص315.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1-3- الرابط الحجاجي "حتى":

وظف عبد القاهر الجرجاني،" حتى " في قوله: " واعلم أن الباطل والمحال ما يعلم الإنسان بطلانه واستحالته بالرجوع إلى النفي حتى لا يشك، ثم إنه إذا أراد البيان ما يجد في نفسه والدلالة عليه، رأى المسلك إليه يغمض ويدق"[1].

تضمن قول الجرجاني" حتى" ووضح للمتلقي أن من البطلان والمحال أن يشكّك الإنسان في شيء غامضاً نوعاً ما وغير متأكد منه، ويذهب إلى مدار عليه بالرغم من أنه أمر مشكوك فيه وليس صحيحًا، فالرابط الحجاجي "حتى" هنا عمل على الربط بين الجملتين كما عمل على توضيح أن رجوع الإنسان إلى نفسه في حالة ظنه وغير تيقنه تماماً من الشيء المحكوم عليه ويؤدي إلى الشك، الذي لا يمكن الحكم عليه لأنه غير مؤكد ولا يملك أي دليل يثبت ذلك.

1-4- الرابط الحجاجي" بل ":

وظف الجرجاني الرابط "بل" في قوله: " واعلم أن الكلام ما أنت تعلم إذا تدبرته أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضم بعضه إلى بعض"[2]، لقد تضمن قول عبد القاهر الجرجاني الرابط" بل" هنا ساهم في تقوية المعنى وإبرازه، يستعمله المخاطب لتغيير وجهة نظر المتلقي إلى ما يريد أن يوصله له. ففي هذه الجملة حاول الجرجاني أن يغير من اعتقاد المتلقي بأن الكلام ليس ما يتدبره، ويحاول أن ينظمه بهدوء وروية لكن ما جاء في ضم بعضه إلى بعض، فالرابط "بل" في هذه الجملة عمل أيضاً " لكن "التي تعمل على الاعتراض لما سبقها من رأي وتبيين ما هو أصح.

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص96.

2- المرجع نفسه، ص96.

1-5- الرابط الحجاجي "لأن":

نجد في تعريف عبد القاهر الجرجاني للفصاحة أنه قد وظف الرابط " لأن "في قوله: " لا تخلو الفصاحة من أن تكون صفة في اللفظ محسوسة تدرك بالسمع أن تكون صفة فيه معقولة تعرف بالقلب، فمحال أن تكون صفة في اللفظ محسوسة لأنها لو كانت كذلك لكان ينبغي أن يستوي السامعون للفظ الفصيح في العلم لكونه فصيحاً" [1]حاول الجرجاني بتوظيفه للرابط الحجاجي " لأن " أن يبين للمتلقي أن الفصاحة لا تكون إلا بفصاحة اللفظ محسوسة تدرك بالسمع، وإنما لها شروط وقوانين، فعمل الرابط الحجاجي " لأن "تعليل وتفسير لماذا لم تكن الفصاحة صفة في اللفظ محسوسة؟، فقد بين وعلل هذا السبب وحاول أن يقنع المتلقي بأن ليس كل ما يملك لسان فصيح ويتميز بطلاقته نقول أنه فصيح، فلو كان كذلك لما ميزنا الله عن بعضنا البعض ولو استوى السامعون للفظ الفصيح في العلم لكونه يتميز بالفصاحة.

كما أنها تسهم في انسجام الخطاب وتماسكه من خلال ربطها بين القيمة الحجاجية لقول ما وبين النتيجة، أي الربط بين قضيتين وترتيب أجزاء القول، منهجها القوة المطلوبة بوصف هذه الأشياء حججاً في الخطأ.

2- العوامل وغرضها الحجاجي:

تقوم العوامل الحجاجية بحصر وتقيد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، ويعرف العامل بأنه: "صريفة (مورفيم) إذا تم إعمالها في ملفوظ معين، يؤدي ذلك إلى

1- المرجع السابق، ص 407.

تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ".[1] ومن ثم تعد العوامل أدوات تمكن من توجيه الخطاب وجهة حجاجية معينة.[2]

وكما عرف موشلار العامل الحجاجي بأنه:" صرفة تحول الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبقة عليه وتمد العبارات المتغيرة بإمكانات لغايات حجاجية ".[3] أي أن العوامل الحجاجية لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي حجة ونتيجة أو بين مجموعة الحجج. وتتجسد هذه العوامل فيما تمثله الأقوال ذاتها من أساليب كأسلوب النفي والقصر والاستثناء.

ومن هذا المنطلق يمكننا إبراز بعض العوامل الحجاجية التي لها تأثير على الخطاب في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني فنجد:

2-1-عاملية أدوات القصر:

يراد بالقصر إثبات معنى ونفي غيره، ولذلك يعرف بأنه "تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص"[4]، وفي هذا الإثبات والنفي تمكن حجاجية القصر، والتي تتجلى من خلال أدواته التي تسهم في توجيه معنى ملفوظ نحو نتيجة معينة، بحيث تحوله من حالة الإخبارية والتبليغية إلى حالة الإبلاغية والتأثيرية ومن هذه الأدوات والعوامل نذكر:

- **إنما:**

تعد (إنما) من أدوات القصر التي تحمل إثباتاً ونفياً، ويوظفها المتكلم لتوجيه ملفوظة نحو الإبلاغية والتأثيرية، وقد خصص الجرجاني بالذكر ضمن كتابه دلائل الإعجاز، يقول " واعلم بأنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فإذا قلت إنما جاءني

1- رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي، دار البيضاء المغرب، ط1، 2014، ص102.

2- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، مكتبة علاء الدين ، صفاقس ، تونس ،ط1 ، 2011 ، ص34.

3- محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص122.

4- فضل حسن عباس، أساليب البيان، ص128.

زيد، عقل منه أنك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره، فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك: جاءني زيد لا عمر"[1].

فإدخال "إنما" في الجملة وجه هذا الملفوظ إلى نتيجة محددة ومحصورة، إلا وهي أن الجائي زيد، وهذه هي النتيجة التي يروم المتكلم إيصالها للمستقبل،[2] والذي يتصور أن الجائي يكون عمر أو خالد أو غيره، وهذا ما يوضحه الجرجاني بقوله: "فإذا قلت: إنما جاءني زيد، لم يكن غرضك أن تنفي أن يكون قد جاء مع زيد غيره، ولكن أن تنفي أن يكون المجيء الذي قلت أنه كان منه كان من عمرو، وكذلك لكون الشبهة مرتفعة في أن ليس هاهنا جائيين وأن ليس إلا جاء واحد".[3]

وبناء عليه، يتضمن القصر ب" إنما " إثباتاً ونفياً، وهي تسهم في توجيه معنى الملفوظ نحو إثبات يحمل في طياته نفياً، ومن ثم يكون توظيفها داخل الملفوظ بغرض تصحيح معتقد المخاطب وظنه بأن الجائي عمرو[4]، وهو ما يوضحه الجرجاني بقوله: "ومعلوم أنك إذ قلت : إنما جاءني زيد لم تزد على ذلك أنه لا يسبق إلى القلب مع المعنى إلا ما قدمنا شرحه، من أنك أردت النص على زيد، وأن تبطل ظن المخاطب أن المجيء لم يكن منه، ولكن كان من عمرو، حسب ما يكون إذا قلت: جاءني زيد لا عمرو"[5]، وعلى هذا الأساس، يوظف العامل " إنما "في قصر القلب، أين يراد بها تصحيح معتقد أو ظن المخاطب، والذي يكون مصراً على ذلك الظن، ومن ثم يؤتى ب " أنما " للرد على من يعتقد نفي ما أثبت بها.[6]

1. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 257.
2. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 54.
3. عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 258.
4. ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها .
5 ـ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
6. ينظر: عز الدين الناجح، المرجع نفسه، ص 54.

وقد يؤتى بهذا العامل الحجاجي الذي تحدث عنه الجرجاني لتحقيق أغراض أخرى غير القلب، مثل تنبيه المخاطب بأمر معلوم كقولنا: " ما هو أخوك " و" إنما " ضمن هذا السياق لم قصد بها التشبيه ولا الإعجام بل تنبيه المخاطب بما يلزم ذلك الأمر المعلوم، هو ما يؤكده الجرجاني باستشهاد يقول المتنبي في مدح كافور:

إنَّمَا أَنْتَ وَالِد وَالْأَب القَا طِعُ أَحْنَى مِن وَأَصْل الْإِنْبَاء .

ثم يعلق الجرجاني على ذلك بقوله: " لم يرد أن يَعلم كافور أنه كالوالد، ولا ذلك مماً يحتاج كافور فيه إلى الإعلام، ولكنه أراد أن يذكره بالأمر المعلوم" [1]وارتبط توظيف " إنما " بسياق أو موضع الملاطفة، قصد تنبيه المخاطب يقول الجرجاني: " واعلم أن موضع" إنما" على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة، تفسير ذلك أنك تقول للرجل إنما هو أخوك، إنما هو صاحبك القديم لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لما يعلمه ويقربه إلا أنك تزيد أن تنبهه للذين يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب ".[2]

ومن هنا فإن " إنما " توجه معنى الملفوظ انطلاقاً من السياق وجهة حجاجية ، بحيث يتجاوز حدود الإبلاغ والإعلام.

3- سُلَّمية النَّظْم:

نعني بعبارة سلمية النظم البلاغي وما يوفره المكون البلاغي للقول(الملفوظ) من معنى عبر التنويعات التي تطرأ على نظم القول من طرف المتكلم نحو مخاطبه بحمولة قصدية وحجاجية رغبة في الإذعان والتسليم بالحجة.

3-1- نظرية السلالم الحجاجية: تعد نظرية السلالم الحجاجية من أهم المفاهيم الحجاجية التي أفرزتها الدراسات التداولية في حقل الحجاج، وتقوم هذه النظرية على التدرج القائم بين

1- عبد القاهر الجرجاني، المرجع السابق، ص329 .

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأقوال والحجج في علاقتها بالنتائج إذا كانت مجموعة من الأقوال تمثل حججاً تدعم نتيجة واحدة، فإن هذه الحجج تتفاوت من حيث قوتها، وقد تنوعت أسماؤها ومفاهيمها بحسب تنوع اختصاصات الدارسين لها[1]، فالباحث طه عبد الرحمان تناولها تحت عنوان المراتب أو المدارج "بوصفها ظاهرة لغوية طبيعية اتخذت صبغة خاصة مع انبعاث الدراسات اللسانية ومباحث فلسفية اللغة، ويكفي شاهدًا على ذلك تنوع اختصاصات الدارسين الذين اشتغلوا بهذه المسألة اللغوية، فنجد من بينهم اللساني والمنطقي والرياضي والفيلسوف".[2]

3-2- السلم الحجاجي:

إن اللغة ذات طبيعة حجاجية، وهو ما ارتكزت عليه نظرية ديكرو و أنسكومبر فقال ديكرو: "نسمي سلماً حجاجياً كل علاقة ترتبيه لحجج معينة "[3] فالسلم الحجاجي بنية متنامية لمراتب الحجج، أي يمكن ترتيب الحجج بشكل يعلوا بعضها على بعض حينما نستلزم نتيجة واحدة، وهذا يأتي لقوة هذه الحجج، ذلك أنها تتفاوت في قوتها التدليلية والتبليغية والتأثرية من حيث تدرجها من الأضعف إلى الأقوى في إطار ما يسمى ب" السلم الحجاجي "[4]، وعرف طه عبد الرحمن هذا الأخير بأنه :" عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

أ – كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب – كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلو مرتبة دليلاً أقوى عليه.[5]

1- طه عبد الرحمن، اللسان والتكوثر العقلي، ص273.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، عالم الكتب، بيروت، ط1، 2012، ص140.

4- طه عبد الرحمن ، في أصول وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000، ص105.

5- المرجع نفسه، صفحة نفسها.

والسلم الحجاجي من مقتضيات النظرية اللسانية " إذ تتجلى فيه العلاقة المجازية بين الدعوة والحجة، لتصبح علاقة شبه منطقية إلى حد ما، تجسدها الأدوات اللغوية، فيتمثل صلب فعل الحجاج في تدافع الحجج وترتيبها حسب قوتها، لا يثبت غالباً إلا الحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في السياق ولذلك يرتب المرسل الحجج التي يرى أنها تتمتع بالقوة اللازمة التي تدعم دعواه وهذا الترتيب هو ما يسمى بالسلم الحجاجي".[1]

ويرتبط مفهوم السلم الحجاجي، بمفهوم آخر هو مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجي ويعني هذا المفهوم "أنه إذا كان يمكن من إنشاء فعل حجاجي فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون بتحديدها ب الاتجاه الحجاجي للسلم، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو مضمرا"[2]، حيث تقوم الروابط الحجاجية تحديد الاتجاه الحجاجي للسلم .

ويعرف أبو بكر العزاوي السلم الحجاجي بأنه: "علاقة ترتيبية للحجج"،[3] ثم يوضح ذلك بالبيان الآتي :

- أكرم زيد عدوه.
- أكرم زيد صديقه.
- أكرم زيد أخاه.

ن = النتيجة (زيد من أنبل الناس خلقاً.)

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004، ص499-500.

2- خديجة بوخشة، الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي، مقاربة تداولية، إشراف د- عبد الحميد بن عيسى، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة وهران ، 2009، ص.

3- أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1، ص59.

لقد تنبه عبد القاهر الجرجاني؛إلى أن الروابط والعوامل الحجاجية؛ هي المؤشر الأساسي والبارز، والدليل القاطع بأن الحجاج مؤشَّر له في بنية اللغة نفسه، اذ يقول:« واعلم أن ههنا فروق خفية تجهلها العامة، وكثير من الخاصة، ليس أنهم يجهلونها في موضع ويعرفونها في آخر، بل لا يدرون أنها هي، ولا يعلمونها في جملة وتفصيل»[1]، ويقصد بقوله: (أنها هي) أي؛ الروابط في ربط الكلام وتوجيهه وقبوله من طرف المتلقي، ومنه فالأثر التوجيهي للحجج يبدو جليا من خلال هذه الروابط اللغوية والعوامل التوجيهية.

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل العجاز، ص، 315.

خاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع والتعمق في أجزائه كان جديراً بنا أن نعرج على أهم النتائج المتحصل عليها منه:

1- تعمق البحث اللغوي عند العرب القدامى وخاصة الجانب البلاغي منه، حيث مثلت البلاغة القدر الأكبر منه فكثر التأليف فيه، مما أدى إلى توسع المفهوم البلاغي حتى صار يقارب مفاهيم حديثة ومنها نظريات الحجاج.

2- يتضح مبدأ الحجاج عند الجرجاني من خلال دفاعه عن الإعجاز، وكذا طريقة نظم الكلام حتى يكون بدوره مؤثرا في المتلقي وتحصل له الاستمالة وفق ما تقتضيه قواعد وأسس النظم .

3- تنبه الجرجاني من خلال دلائل الإعجاز إلى التكامل بين علوم اللغة؛ (علم النحو، علم المعاني) الذي يمثل الجانب الحجاجي للبلاغة، وذلك من خلال اعتنائه بالتركيب والمعنى من ناحية التأثير والإقناع.

4- بيّن الجرجاني الفروق التأثيرية من خلال الاختلاف في التراكيب النحوية وما ينتج عنه من اختلاف في المعاني وتحولها من معنى إلى آخر، حيث استشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم وأبيات من الشعر العربي.

5- تظهر جهود الجرجاني جليا في اهتمامه بالبيان، وذلك من خلال شرحه للصور البيانية، وما تحدثه من أثر في نفس السامع حتى يحدث الإقناع، وذلك من خلال انتقال المعنى من معنى سطحي إلى معنى عميق.

6- إن حديث الجرجاني عن التراكيب واختلافها والصور البيانية وأنواعها، وكذا شرح عملها في كيفية التأثير وهو شرح لعمل آليات الحجاج، وكيفية تأثيرها وحصول الاستمالة لدى السامع.

7- انتقال المعاني من معنى إلى آخر عبر ما يحكمه التراكيب، وما يوضحه البيان من خلال الصور البيانية، فالتمثيل والاستعارة والكناية، وما تحمله من دور تأثيري إقناعي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، تح: أمين محمد عبد الوهاب محمد الصادق العبدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج14، ط3، 1999،1419هـ.
2. أحمد الظهار نجاح، نظرية النظم عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني.
3. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ج2، د ط، 1979م.
4. الإمام الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، المجلد1،ط1، 1994
5. الإمام مالك عليه السلام، رسائل في نهج البلاغة دراسة حجاجية.
6. الباجي أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط3، 2001م.
7. بن ظافر الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، بيروت،ط1، 2003م.
8. بوخشة خديجة، الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي، مقاربة تداولي، إشراف د- عبد الحميد بن عيسى، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة وهران، 2009.
9. بوزناشه نور الدين ، البلاغة العربية والدرس اللساني الغربي دراسة تقابلية مقارنة، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف لمين دباغين، كلية الآداب واللغات، حليفة بوجادي.
10. ثقبايت حامدة، قضايا تداولية في دلائل الإعجاز عند القاهر الجرجاني.
11. الجابري محمد عابد ، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط9، 2009.

12. الجرجاني الشريف، التعريفات، تح: محمد باسل عيون الود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2003م.

13. الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م.

14. الجرجاني عبد القاهر، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، ط1، 1991م.

15. حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناه، دار الثقافة، المغرب، ط، 1994.

16. الحسن حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء تح: محمد الحبيب بن خولة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981م.

17. حمزة السعيد، محاضرات في النسقية العربية، جامعة بجاية،2018م.

18. الحملاوي أحمد، زهر الربيع في المعاني والبيان، دار العلوم، ط1.

19. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ط1، 2003م،1424هـ .

20. الدمشقي عبد الرحمان، ديوان الواواء الدمشقي، تح: سامي الدهان، دار صادر، بيروت، ط2، 1993.

21. الراضي رشيد، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي، دار البيضاء، لمغرب، ط1، 2011.

22. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب و الإجراء، تح: تمام حسان، عالم الكتب، ط2، 2007.

23. الزماني كمال، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الامام علي رضي الله عنه، عالم الكتب، بيروت، ط، 2012.

24. صوله عبد الله ، الحجاج القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه، الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، ط2، 2007م.

25. صوله عبد الله ، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس،ط1، 2011م.

26. طروس محمد، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2005.

27. عبد الحسن علي حبيب شيب الناصر، الخطاب الحجاجي لأهل البيت في كتاب الاحتجاج، دراسة تداولية، ط1، 2018م.

28. عبد الرحمان طه، اللسان والميزان و التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م.

29. عبد الرحمان طه، في أصول وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2000.

30. عبد السلام يسمينة، نظرية الأفعال الكلامية في ظل جهود أوستين، مجلة الأثر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، العدد العاشر، 2014م.

31. عبد العاطي غريب علي، علام البلاغة بين الناقدين الخالدين، عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، ط1،بيروت، دار الجيل،1992م.

32. عبد الفتاح فيود بسيوني، دراسات بلاغية، أستاذ البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، مؤسسة المختار، دار المعالم الثقافية، المملكة العربية السعودية ،ط1، 1998م.

33. عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1980.

34. العزاوي أبو بكر: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع الأحمدية، ط1، 2006م.

35. عشير عبد السلام ، إشكالات التواصل والحجاج، مقاربة تداولية معرفية.

36. عطية شاهين اللبناني، ديوان الشاعر الشهير: إمام الفصاحة والبلاغة أبي تمام الطائي، المطبعة الأدبية، بيروت، 1889.

37. العلوي، الطراز، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2002.

38. غفيري، خديجة، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي إفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، د ط، 2012م.

39. فضل حسن عباس، أساليب البيان، دار النفائس،ط2، 2007.

40. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، د ط، 2000م.

41. القزويني الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2002م.

42. كرشو لزهر، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب، مطبعة الرمال، الوادي،ط، 2020.

43. كرشو لزهر، محاضرات في الحجاج، جامعة الوادي، 2020م.

44. محمد الخفاجي عبد المنعم و شريف عبد العزيز ، البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1992م.

45. مطلوب أحمد، عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات للنشر، 1973م.

46. المودن حسن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، كنوز المعرفة، ط1، 2014م.

47. ناجح عز الدين ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، دون، ط1، 2011.

48. نجيب محمد سمير، البدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، بيروت، ط1، 1985م.

49. الهاشمي أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبديع، تح: وحيد قطب، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، 2012م.

50. يوسف زينب عبد الله هاشم، الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة العربية،1994.

فهرس المحتويات

الإهداء.....

مقدّمـــــة .....أ

مـدخـل

تمهيـد:..... 5

1- التعريف بنظرية النَّظْم: 5

2- أسس نظرية النَّظْم عند الجرجاني: 6

3- ترجمة لعبد القاهر الجرجاني:..... 7

الفصل الأول:

مفهوم الحجاج وأصنافه وآلياته

أولا: مفهوم الحجاج.....12

1- التعريف اللغوي: 12

2- التعريف الاصطلاحي: 13

2-1- الحجاج عند القدامى:.....13

2-2- الحجاج عند المحدثين: 14

3- المجالات المفاهيمية للحجاج: 15

3-1- الحجاج والخطابة:.....15

3-2- الحجاج والإقناع: 16

3-3- الحجاج والحوار: 16

3-4-الحجاج والجدل: 16

3-5-الحجاج والبرهان: 16

ثانيا: أصناف الحجاج: 17

1- الحجاج التوجيهي: 18

1- الحجاج التقويمي: 19

ثالثا: آليات الحجاج: 20

1- الآليات اللغوية: 20

1-1- ألفاظ التعليل: 21

1-2- التراكيب الشرطية: 21

1-3- أفعال الكلام: 21

1-4- الحجاج بالتبادل: 22

1-5- الوصف: 22

1-6- تحصيل الحاصل: 23

2- الآليات البلاغية: 23

2-1- آليات البلاغة القديمة: 23

2-2- آليات البلاغة الجديدة: 34

3- الآليات الشبه منطقية:.....34

3-1-الآليات السلمية:.....34

3-2- الآليات غير السلمية:.....35

الفصل الثاني:

حجاجية النَّظْم

تمهيد: 38

أولا: التراكيب وأبعادها الحجاجية: 40

1- التقديم والتأخير 40

1- 1- التقديم والتأخير في الاستفهام بالهمزة: 43

1-2- التقديم والتأخير في النفي: 43

2- الذكر والحذف: 46

2-1- الذكر: 46

2-2- الحذف:.....46

3- الوصل والفصل وبعدهما الحجاجي: 50

3-1- الوصل:.....50

3-2- الفصل: 52

ثانيا: البيان وأبعاده الحجاجية. 55

1- حجاجية التشبيه:.....55

1-1- التشبيه الضمني: 58

1-2- التشبيه المقلوب:.....60

2- حجاجية الاستعارة: 63

2-1- مبدأ ترجيح المطابقة والمقتضى المطابقي:.....70

2-2- مبدأ ترجيح المعنى والمقتضى المعنوي: 70

2-3- مبدأ ترجيح النظم والمقتضى النظمي: 71

3- حجاجية الكناية: 73

ثالثا: الروابط والعوامل الحجاجية. 80

1- الروابط وغرضها الحجاجي: 80

1-1- الرابط الحجاجي "الواو": 80

1-2- الرابط الحجاجي "إن": 82

1-3- الرابط الحجاجي "حتى": 83

1-4- الرابط الحجاجي" بل ": 83

1-5- الرابط الحجاجي " لأن": 84

2- العوامل وغرضها الحجاجي:.....84

2-1-عاملية أدوات القصر: 85

3- سُلَّمية النَّظْم: 87

3-1- نظرية السلالم الحجاجية: 87

3-2- السلم الحجاجي: 88

قائمة المصادر والمراجع 94

فهرس المحتويات 100

ملخص البحث: 106

ملخص البحث:

لا ريب في أنَّ الدِّرس العربي القديم يكتسي أهميَّة بالغة، خاصة نظريَّة النَّظم، هذه الأهميَّة لا تظهر إلاَّ من خلال الوقوف على الأثر الذي أحدثته في الدراسات اللِّسانية الحديثة، ولذلك فإنَّ أيَّة محاولة للوقوف على أثر نظريَّة النَّظم عند الجرجاني، لا تمرُّ إلاَّ عبر محاولة أكيدة لفهم كليهما ـ نظرية النّظْم والنظريات الحديثة ـ ثمَّ العمل على التقاط نقاط الالتقاء بينهما، لذلك جاءت هذه الدِّراسة لتبرز الأبعاد الحجاجيَّة ـ بوصفها أحد مفرزات الدرس اللِّساني الحديث ـ لنظرية النَّظْم.

الكلمات المفتاحية: نظرية النَّظْم؛ الدّرس اللساني الحديث؛ الجرجاني؛ الأبعاد الحجاجية؛ التراث اللغوي.

Abstract:

There is no doubt that the ancient Arabic studies are very important, especially the systems theory. This importance of this theory is shown its effects the in the modern linguistic studies. Therefore, any attempt to Stand on the effect of the systems theory can not be done Only through A real try to understand both the theory of systems and modern theories and then work to capture the points of convergence between them, so this study came to highlight the argumental dimensions as one of the Detachments of the modern linguistic lesson of the systems theory

Key words : systems theory, modern linguistic lesson, al-Jurjani, argumental dimensions, Linguistic heritage.